كتاب الدعوات

باب

دعاء النبي ﷺ لأمته

١١٩٩- عن هَمَّام بن مُنَبِّه قال: هٰذَا مَا حَدَّثَنا أَبو هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ تُسْتَجَابُ لَهُ، فَأُرِيدُ إِنْ شَاءَ اللهُ أَنْ أَدَّخِرَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (١٩٨).

قوله: «لكلِّ نبيٍّ دعوةٌ تُستجابُ له» استُشكل ظاهرُ الحديث بما وقع لكثير من الأنبياء من الدعوات المُجابة، والجوابُ أَنَّ المرادَ بالإجابة في الدعوةِ المذكورةِ القَطْعُ بها، وما عدا ذلك من دعواتهم، فهو على رجاء الإجابة. وقيل: معناه لكلٍّ منهم دعوةٌ عامةٌ مستجابةٌ في أُمَّته إِمَّا بإهلاكهم وإِمَّا بنجاتهم، وأَما الدعواتُ الخاصةُ فمنها ما يُسْتجابُ ومنها ما لا يُسْتجاب.

١٢٠٠- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً، وإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي وهي نَائِلَةٌ مِنْكُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ لا يُشْرِكُ باللهِ شَيْئاً».

أخرجه مسلم (١٩٩).

قال ابن الجوزي: هذا من حُسن تصرفه ﷺ، لأنه جَعَلَ الدعوةَ فيما ينبغي، ومن كثرة كرمِه، لأنَّه آثَرَ أمَّته على نفسِه، ومن صحة نظره، لأنه جعلها للمذنبين من أمته، لكونهم أحوجَ إليها من الطائعين.

وقال النووي في «شرح مسلم» ٢/٧٨: فيه كمالُ شَفَقته ﷺ على أُمَّته، ورأفتُه بهم، واعتناؤه بالنظر في مصالحهم، فجعل دعوتَه في أَهَمِّ أوقات حاجتهم. وأما قوله: «فهي نائلةٌ» ففيه دليلٌ لأَهلِ السُّنة أَنَّ من مات غير مشركٍ لا يُخَلَّد في النار ولو ماتَ مُصِرّاً على الكبائرِ.

١٢٠١- عَنْ أَنَس قَالَ: قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ لِكُلِّ نَبيٍّ دَعْوَةً دَعَا بِها في أُمَّتِه، وإنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ».

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٦٣٠٥)، ومسلم (٢٠٠).

باب

دعاء النبي ﷺ لمن لعنه من أمته أن يجعلها له قربة

١٢٠٢- عَنْ هَمَّام بن مُنَبِّه: أَنَّهُ سَمِعَ أَبا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَتَّخِذُ عِنْدَكَ عَهْداً لَنْ تُخْلِفَهُ، إنَّما أَنا بَشَرٌ فَأَيُّ المُؤْمِنِينَ آذَيْتُهُ أَو شَتَمْتُهُ، أَوْ جَلَدْتُه أَوْ لَعَنْتُهُ، فَاجْعَلْها لَهُ صَلاةً وَزَكاةً، وقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِها يَوْمَ القِيَامَةِ».

وفي رواية ابنِ بالويه: «اتَّخَذْتُ عِنْدَكَ»، وقَالَ القَطَّانُ: «فَاجْعَلْها صَلاةً».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٦٣٦١)، ومسلم (٢٦٠١).

وأَخرجه مسلم (٢٦٠٣) من حديث أَنس، وفيه تَقييدُ المدعوِّ عليه بأَنْ يكون ليس لذلك بأَهْلٍ. وقال المازري في «المُعْلم» ٣/١٦٨: إنْ قيل: كيف يدعو ﷺ بدعوةٍ على مَنْ ليس لها بأهل، وهذا مّما لا يليقُ به ﷺ؟ قيل: المراد بقوله: ليس بأهلٍ عندك في باطِن أَمْرِه لا على ما يظهر إليه ﷺ ممَّا تقتضيه حالتُه وجنايتُه حين دُعائه عليه، فكأَنَّه ﷺ يقول: مَنْ كان باطنُ أَمْرِه عِندك أَنَّه ممَّن تَرْضى عنه فاجعل دعوتي عليه التي اقتضاها ما ظهر إليَّ من مُقْتضى حاله

حينئذٍ طهوراً وزكاةً. وهذا معنى صحيحٌ لا إحالةَ فيه، وهو ﷺ مُتَعَبَّدٌ بالظواهرِ وحسابُ الناسِ في البواطنِ على الله تعالى.

باب

فضل ذكر الله عز وجل ومجالس الذكر

قال اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] وقَالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿ولَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] قَالَ سَعِيْدُ ابنُ جُبَيْرٍ: الذِّكْرُ طَاعةُ اللهِ، مَنْ أَطَاعَ اللهَ، فَقَدْ ذَكَرَهُ، ومَنْ لَمْ يُطِعْهُ، فَلَيْسَ بِذَاكِرٍ وإنْ أَكْثَرَ التَّسْبِيحَ وتِلاوَةَ الكِتَاب.

١٢٠٣- عَنْ أَبي إسْحَاقَ سَمعْتُ الأَغرَّ قَالَ: أَشْهَدُ عَلى أَبي هُرَيْرَةَ وأَبي سَعِيْدٍ أَنَّهُما شَهِدَا على رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «لا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ الله إلّا حَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ، وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِيْنَةُ، وذَكَرَهُمُ اللهُ فِيْمَنْ عِنْدَهُ».

هذا حديثٌ صحيح، أخرجه مسلم (٢٧٠٠). وفيه من الفقه: جوازُ الاجتماعِ لقراءة القرآن في المساجد، وكرهه مالك. قال المازري ٣/ ١٨٧: لعلَّه لمَّا صادف العمل لم يستمرَّ عليه ورأى السلفَ لم يفعلوه مع حِرْصِهِمْ على الخيرِ كَرِهَ إحْداثَه، ورآه من مُحْدَثاتِ الأُمور. وكان كثيرَ الاتّباع لعمل أَهْلِ المدينةِ وما عليه السلفُ، وكثيراً ما يتركُ بَعْضَ الظواهرِ بالعمل.

١٢٠٤- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «إنَّ للهِ مَلائِكَةً سَيَّارَةً فُضُلاً يَبْتَغُونَ مَجالِسَ الذِّكْرِ، فَإذا وَجَدُوا مَجْلِساً فيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ يَحُفُّ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بأَجْنِحَتِهِم حَتَّى يَحُولَ ما بَيْنَهُمْ وبَيْنَ السَّماءِ الدُّنيا، فَإذا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وصَعِدُوا إلى السَّماءِ، قَالَ:

فَيَسْأَلُهُمْ -وهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ-: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ في الأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ، قَالَ: ومَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسأَلُونَكَ جَنَّتَك، وقَالَ: وهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لا يا رَبِّ، قَالَ: كَيْفَ لَوْ رأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: ويَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: مِمَّ يَسْتَجِيرُونني؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يا رَبِّ، قَالَ: وهَلْ رَأَوْا ناري؟ قَالُوا: لا، قَالَ: كَيْفَ لَوَ رَأَوْا نارِي. قَالُوا: ويَسْتَغْفِرُونَكَ، فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، وأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُونِي، وأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُونِي، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا فِيْهِمْ فُلانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ إِنَّما مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، هُمُ القَوْمُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيْسُهُمْ».

هذا حديث متفق على صحته. أخرجه البخاري (٦٤٠٨)، وأخرجه مُسْلم (٢٦٨٩) عن محمد بن حاتم بن ميمون، عن بَهز، عن وُهَيْب بإسناده، وقال: «فَيَسْأَلُهم اللهُ وهو أعلمُ: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا مِنْ عِنْدِ عبادِك في الأرض، يُسَبِّحُونَكَ، ويُكبِّرونَكَ، ويَحْمَدُونَكَ، ويُهَلِّلُونَكَ، ويَسْألونَكَ».

قولُه: «فُضُلاً»: بضم الفاء والضاد أي: زيادةً عن الملائكة المُرتَّبين مع الخلائقِ. وفي «مشارق الأَنوار» للقاضي عياض ٢/ ١٦٠: وكان هذا الحرفُ في كتاب ابن عيسى «فُضَلاء» بضم الفاء وفتح الضاد وهو وَهمٌ هنا، وإن كانت صفتَهم صلواتُ الله عليهم.

وفي الحديثِ من الفِقْهِ: فَضْلُ مجالس الذِكْر والذاكرين، وفَضْلُ الاجتماع على ذلك، وأَنَّ جَليسَهم يندرجُ معهم في جميع ما يتفضَّل به الله تعالى عليهم إكراماً لهم ولو لم يُشاركْهم في أصل الذكر.

وفيه: محبَّةُ الملائكة لبني آدم واعتناؤهم بهم، وأَنَّ السؤالَ قد يصدرُ من السائلِ وهو أعلمُ بالمسؤول عنه من المسؤول لإظهار العناية بالمسؤول عنه والتنويه بِقَدْرِهِ.

وفيه: أَنَّ ما اشتملت عليه الجنة من أَنواع الخيرات والنار من أَنواع المكروهات فوق ما وُصِفَتا به.

١٢٠٥- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ ﷺ: «يَقُولُ الله عَزَّ وجَلَّ: أَنا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي وتَحَرَّكَتْ بي شَفَتَاهُ».

حديث صحيح، أخرجه أَحمد (١٠٩٦٨)، وابن ماجه (٣٧٩٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٠٩).

١٢٠٦- عَنْ أَبي مُوسَى قَالَ: قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ والَّذِي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٦٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩).

قال الحافظ في «الفتح» ١١/ ٢١٢: المراد بالذكر هنا: الإتيانُ بالأَلفاظِ التي ورد الترغيبُ في قولها والإكثار منها مثل الباقيات الصالحات وهي: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إِلٰه إلا الله، والله أكبر» وما يلتحق بها من الحَوْقَلَةِ والحَسْبَلَةِ والاستغفار ونحو ذلك، والدعاءِ بخيري الدنيا والآخرة. ويُطلق ذِكْرُ الله أيضاً ويُرادُ به المواظَبةُ على العمل بما أَوْجَبَه أو نَدَبَ إليه كتلاوة القرآن وقراءة الحديث ومُدارسةِ العلم والتَّنَفُّل بالصلاة. ونقل النووي في «الأذكار» ص: ٧ عن عطاء بن أبي رباح قال: مجالسُ الذكْرِ هي مجالسُ الحلالِ والحرام؛ كيف تشتري وتَبيعُ وتصومُ وتنكح وتُطَلِّقُ وتحجّ وأشباه هٰذا. وفي «الأَذكار» أيضاً: الذكْرُ يكون بالقَلْبِ ويكون باللسان، والأَفْضَلُ منه ما كان بالقَلْبِ واللسانِ جميعاً، فإن اقتصر على أَحدِهما فالقَلْبُ أفضل.

١٢٠٧- عَنْ أَبي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وأَزْكاهَا عِنْدَ مَلِيْكِكُمْ، وأَرْفَعِهَا في دَرَجَاتِكُمْ، وخَيْرٍ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ والوَرِقِ، وأَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، ويَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟» قَالُوا: ومَا ذَاكَ يا رسُولَ الله؟ قَالَ: «ذِكْرُ اللهِ».

حديث صحيح، أخرجه أحمد (٢١٧٠٢)، والترمذي (٣٣٧٤)، وابن ماجه (٣٧٩٠)، وحسَّن إسناده المنذري في «الترغيب والترهيب» ٢/ ٣١٥. وقال الباجي في «المنتقى» ١/ ٣٥٥: الذكْرُ باللسان على ضَربَيْن: واجب ومندوب إليه، فالواجبُ قراءة أُمِّ القرآن في الصلاة والتكبير والتسليم فيها وما جرى مجرى ذلك، والمندوب إليه: سائرُ الأذكارِ من قراءة القرآن والتسبيح والتهليل وغير ذلك. فأما الواجبُ من الذكْر فيحتمل أن يفضل على سائِر أعمال البِرِّ من الجهادِ والزكاة وغيرِها.

١٢٠٨- عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ بُسْرٍ المَازنيِّ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابيٌّ إلى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ فَقَالَ: «طُوبَى لِمَنْ طَالَ عُمُرُهُ وحَسُنَ عَمَلُهُ» قَالَ: يا رَسُولَ الله، أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَنْ تُفَارِقَ الدُّنيْا ولِسانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللهِ».

هذا حديث صحيح الإسناد، أخرجه أحمد (١٧٦٨٠). وأخرج الترمذي القسم الأول برقم (٢٣٣٠) والقِسْمَ الثاني برقم (٣٣٧٢). وانظر «جامع العلوم والحكم» ٢/ ٥١٠.

١٢٠٩- عَنْ أَبي سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ سُئِلَ: أَيُّ العِبادِ أَفْضَلُ دَرَجَةً عِنْدَ الله يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «الذَّاكِرونَ اللهَ كَثِيراً» قَالُوا: يا رَسُولَ اللهِ، وَمِنَ الغَازِي في سَبِيلِ الله؟ فَقَالَ: «لَوْ

ضَرَبَ بِسَيْفِهِ الكُفَّارَ والمُشْرِكِينَ حَتَّى يَنْكَسِرَ أَوْ يَخْتَضِبَ دَماً لَكانَ الذَّاكِرُ للهِ كَثِيْراً أَفْضَلَ مِنْهُ دَرَجَةً.

أخرجه أحمد (١١٧٢٠)، والترمذي (٣٣٧٦) وفي إسناده ضَعْفٌ.

ورُوي عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «سَبَقَ المُفَرِّدُون» قالوا: وما المفرِّدُونَ يا رسولَ الله؟ قال: «الذاكرونَ الله كثيراً، والذاكراتُ». أخرجه مسلم (٢٦٧٦).

قال القُتَيْبِيُّ: المفرِّدون: الذين ذهبَ القَرنُ الذي كانوا فيه، وبقُوا وهم يذكرونَ الله، قال ابنُ الأعرابي: فرَّدَ الرجلُ: إذا تفَقَّه، واعتزلَ الناسَ، وخلا بمراعاةِ الأمرِ والنهي.

باب

التقرب إلى الله سبحانه وتعالى بالنوافل والذكر

١٢١٠- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وتَعَالى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً، فَقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، ومَا تَقَرَّبَ إِليَّ عَبْدِي بشيءٍ أَحَبَّ إِليَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، ومَا يَزالُ عَبْدي يَتَقَرَّبُ إِليَّ بالنَّوافِلِ حَتَّى أَحْبَبْتُهُ، فَكُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَه الَّذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهَ، وَلَئِن اسْتَعَاذَني لأُعِيذَنَّهُ، ومَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيء أَنا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ، وأَنا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ».

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٦٥٠٢). قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» ٢/ ٣٣٠: وهو من غرائب «الصحيح» تفرَّد به محمد بن عثمان بن كرامة، وفيه خالد بن مَخْلَد تكلَّم فيه أحمد وغيره... وقد روي

هذا الحديث من وجوهٍ أُخَرَ لا تخلو كُلُّها من مقال، لكن الحافظ قال في «الفتح» ١١/ ٣٤٩: للحديث طرقٌ أُخرى يدلُّ مجموعُها على أَنَّ له أَصلاً.

قوله: «كُنتُ سَمْعَهُ الذي يسمعُ» سُئِلَ أَبو عثمان الحِيري عن معنى هذا الخبر، فقال: كنت أسرَعَ إلى قضاء حوائجه مِنْ سمعه في الاستماع، وبصرِه في النظر، ويدِه في اللمسِ، ورجلِه في المشي.

وقال أبو سليمان الخطابي: هذه أمثالٌ ضربها، والمعنى -والله أعلم- توفيقُه في الأعمال التي يُباشِرُها بهذه الأعضاء، يعني: يُيَسِّرُ عليه فيها سبيلَ ما يُحبُّهُ ويَعصِمُه عن مواقَعَةِ ما يَكْرَهُ: من إصغاءٍ إلى اللغو بسمعه، ونظرٍ إلى ما نُهي عنه ببصره، وبَطْشِ ما لا يحِلُّ بيده، وسعيٍ في الباطل، وقد يكون معناه: سُرعةَ إجابة الدعاءِ، والإنجاحَ في الطَّلِبَةِ، وذلك أن مساعيَ الإنسان إنما تكُونُ بهذه الجوارح الأربع.

وقوله: «ما تردَّدْتُ عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفْسِ المؤمنِ» فإنه أيضاً مَثَلٌ، فإنَّ التَّرَدُّدَ على الله على ما هو صفة المخلوقين غيرُ جائز، والبَداءُ عليه في الأمورِ غيرُ سائغ، وتأويلُه على وجهين، أحدهما: أن العبدَ قد يُشرِفُ في أيام عُمره على المهالِكِ مرَّاتٍ ذاتَ عدَدٍ: من آفةٍ تَنزِلُ به، أو داءٍ يُصيبُهُ، فيدعو الله فيشفيه منها، فهو المرادُ من التَّرَدُّدِ، إلى أن يَبلُغَ الكِتابُ أجَلَه، وهذا على معنى ما رُوي «أنَّ الدُّعاءَ يَرُدُّ البَلاءَ». ذكره السيوطي في «الجامع الصغير» ونسبه لأَبي الشيخ في «الثواب» وفي الباب بنحوه عند الترمذي (٢١٤٠)، والحاكم ١/ ٤٩٣ وصححه، ووافقه الذهبي.

والوجهُ الآخر: أن يكونَ المراد منه ترديدَ الرُّسلِ، معناه: ما رَدَدْتُ رُسُلي في شيء أنا فاعلُه ترديدي إياهم في نفسِ المؤمنِ، كما رُوي من قصةِ موسى، وإرسالِ مَلَكِ الموت إليه، ولطمه عينه، ثم رَدَّهُ إليه مرةً بعد أخرى. أخرجه

البخاري (٣٤٠٧) وغيره، وحقيقةُ المعنى في الوجهين عطفُ اللهِ عزَّ وجلَّ على العبدِ، ولطفُهُ به، والله أعلم.

وقوله: «يَكرهُ الموتَ وأكرهُ مساءَتُه» يريدُ لما يلقى من عِيانِ الموت، وصُعوبتِه، وكَرْبِه، ليس أني أكرهُ له الموتَ، لأن الموتَ يُؤدِّيه إلى الرحمةِ والمغفرة.

وقد دلَّ الحديثُ كما قال الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم» ٢/ ٣٣٤: على أَنَّ أَولياءَ الله تجب موالاتهم ،وتحرُمُ معاداتُهم، كما أنَّ أَعداءَه تَجِبُ معاداتُهم وتَحْرُم موالاتُهم، قال تعالى: ﴿لا تَتَّخِذُوا عدوي وعدوَّكم أَولياء﴾ [الممتحنة: ١]، وقال: ﴿إِنَّما وليكم الله ورسولُه والذين آمنوا الذينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤتُون الزَّكاةَ وهم راكعون. ومَنْ يَتولَّ اللهَ ورَسُولَه والذينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ الله هم الغالبون﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦]، ووصف أَحبَّاءَهُ الذين يُحبُّهم ويُحبُّونه بأَنَّهم أَذِلَّةٌ على المؤمنين، أَعِزَّةٌ على الكافرين. ولمَّا ذكر أَنَّ معاداةَ أَوليائه محاربةٌ له، ذكر بعد ذلك وَصْفَ أَوليائه الذين تحرم مُعاداتُهم وتَجِبُ موالاتُهم، فذكر ما يُتقرَّب به إليه؟، وأَصْلُ الولاية: القُرْبُ، وأَصْلُ العداوةِ: البُعْدُ، فأولياءُ الله هم الذين يتقرَّبون إليه بما يُقَرِّبُهم منه، وأَعداؤه هم الذين أبعدهم عنه بأَعمالهم المُقْتَضية لِطَرْدِهم وإبعادهم منه. فَقَسَمَ أَولياءَهُ المُقَرَّبين إلى قسمين:

أَحدهما: مَنْ تَقَرَّبَ إليه بأَداءِ الفرائِض ويَشْمَلُ ذلك فِعْلَ الواجبات، وتَرْكَ المحرَّمات، لأنَّ ذلك كلَّه من فرائِض الله التي افترضها على عباده.

والثاني: مَنْ تَقَرَّبَ إليه بعد الفرائضِ بالنوافلِ. فظهر بذلك أَنَّه لا طريقَ يُوْصِلُ إلى التقرُّب إلى الله تعالى، وولايتِه ومحبَّتِهِ، سوى طاعته التي شرعها على لسانِ رُسُله، فَمَن ادَّعى ولايةَ الله والتقرُّبَ إليه ومحبَّتَه بغير هذه الطريق، تبيَّن أنه كاذبٌ في دعواه.

١٢١١- عَنْ أَنَس بنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ، عَنْ جِبْرِيلَ، عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وتَعَالى قَالَ: «يَقُولُ الله عَزَّ وجَلَّ: مَنْ أَهَانَ لي وَلِيّاً، فَقَدْ بَارَزَنِي بالمُحَارَبَةِ، وإني لأَغْضَبُ لأَوْلِيائي، كَما يَغْضَبُ اللَّيْثُ الحَرِد، ومَا تَقَرَّبَ إليَّ عَبْدي المُؤمِنُ بِمِثْلِ أَدَاءِ ما افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، ومَا زالَ عَبْدِي المُؤْمِنُ يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإذا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ لَهُ سَمْعاً وبَصَراً ويَداً، ومُؤَيِّداً، إنْ دَعَاني أَجَبْتُهُ، وإنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ، وما تَرَدَّدْتُ في شَيءٍ أنا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي في قَبْضِ رُوحِ عَبْدي المُؤمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وأَكْرَهُ مَساءَتَهُ، ولا بُدَّ لَهُ مِنْهُ، وإنَّ مِنْ عِبادي المُؤمِنينَ لَمنْ يَسْأَلُني البابَ مِنَ العِبَادَةِ، فَأَكُفُّهُ عَلَّهُ أَلَّا يَدْخُلَهُ عُجْبٌ، فَيُفْسِدَه ذٰلِكَ، وإنَّ مِنْ عِبَادي المُؤمِنِيْنَ لَمَنْ لا يُصْلِحُ إيمانَهُ إلا الغِنَى، ولَوْ أَفْقَرْتُهُ لَأَفْسَدَهُ ذٰلِك، وإنَّ مِنْ عِبَادي المُؤْمِنينَ لَمنْ لا يُصلِحُ إيمانَهُ إلا الفَقْرُ، ولو أَغْنَيْتُهُ لأَفْسَدَهُ ذٰلِكَ، وإنَّ مِنْ عِبَادي المُؤمِنِيْنَ لَمَنْ لا يُصْلِحُ إيمانَهُ إلا الصِّحَةُ، ولوْ أَسْقَمْتُهُ لأَفْسَدَهُ ذٰلِكَ، وإنَّ مِنْ عِبَادِي المُؤمِنِيْنَ لَمنْ لا يُصلِحُ إيمانَهُ إلا السَّقَمُ، ولو أَصْحَحْتُهُ لأفْسَدَهُ ذٰلِكَ، إني أُدَبِّرُ أمر عِبَادي بِعِلْمِي بِقُلُوبِهِمْ، إنِّي عَلِيمٌ خَبِيرٌ».

أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «الأولياء»: ٩ دون قوله: «وإني لأغضبُ لأَوليائي كما يغضبُ اللَّيْثُ الحَرِدُ». وفي إسناده ضَعْفٌ. وأَخرجه أَبو نُعيم في «الحلية» ٨/ ٣١٨ وقال: غريبٌ من حديثِ أنس.

وأخرجه مختصراً من حديث عائشة البزَّارُ كما في «كشف الأستار» ٤/ ٢٤٨، والطبراني في «الأوسط» ١/ ١٩٢ برقم (٦٠٩) وفي إسناده عمر بن سعيد أبو حفص الدمشقي، ضعيف. وانظر «جامع العلوم والحكم» ٢/ ٣٣٣.

١٢١٢- عَنْ أنسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «قَالَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعَالى: «يا ابْنَ آدَمَ اذْكُرْني في نَفْسِكَ أَذْكُرْكَ في نَفْسِي، فَإِنْ ذَكَرْتَنِي في ملإٍ ذَكَرْتُكَ في مَلإٍ مِنَ المَلائِكَةِ ـ أَو قَالَ: في مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُ ـ فَإِنْ دَنَوْتَ مِنِّي شِبْراً دَنَوْتُ مِنْكَ ذِرَاعاً، وإِنْ دَنَوْتَ مِنِّي ذِرَاعاً، دَنَوْتُ مِنْكَ بَاعاً، وإِنْ أَتَيْتَنِي تَمشِي، أَتَيْتُكَ أُهَرْوِلُ».

قَالَ قَتَادَةُ: واللهُ أَسْرَعُ بالمَغْفِرَةِ.

هذا حديث صحيح الإسناد، وانظر ما بعده.

١٢١٣- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: أَنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي، وأَنا مَعَهُ إِذا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وإِنْ ذَكَرَنِي في مَلإٍ، ذَكَرْتُه في مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وإِنْ تَقَرَّبَ إِليَّ بِشِبْرٍ، تَقَرَّبْتُ إليه ذِرَاعاً، وإِنْ تَقَرَّبَ إِليَّ ذِرَاعاً، تَقَرَّبْتُ إِليه باعاً، ومَنْ أَتَاني يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

قوله «أَنا عند ظنِّ عبدي بي» أي: أنا قادرٌ على أَن أَعمل به ما ظنَّ أني عامل به. وقيَّده أَهل التحقيق بالمُحتَضَرِ ويؤيّده حديثُ: «لا يموتَنَّ أَحدُكم إلاّ وهو يُحسنُ الظنَّ باللهِ». أَخرجه مسلم (٢٨٧٧).

قوله: «وأنا معه إذا ذكرني» أي: بِعِلْمِي.

قوله: «فإنْ ذكرني في نَفْسِهِ ذكَرْتُه في نفسي» قال الحافظ في «الفتح» ١٣/ ٣٩٨: إذا ذكرني بالتنزيه والتقديس سِرّاً، ذكرتُه بالثواب والرحمة سرّاً. و«الملأ»: الجماعةُ. وقوله: «ملأ خيرٍ منهم» يعني بهم الملائكة عليهم الصلاةُ

والسلام. والمعنى: نوَّه باسمه فيهم وأَمرَ جبريلَ عليه السلامُ أَن يُنادِيَ فيهم بذكره.

وفي الحديث من الفقه: الحثُّ على تحسين الظَنِّ بالله تعالى ولا سيَّما عند الاحتضار.

وفيه: الحضُّ على ذِكْرِ الله تعالى، والمسارعةِ إلى طاعته وتحصيل مرضاته، وأَنَّ الله تعالى إلى العبدِ بكلِّ خَيْرٍ أَسرعُ.

١٢١٤- عن هَمام بن مُنَبِّه قال: هٰذَا مَا حَدَّثَنَا أبو هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «قَالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: أَنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، إذا تَلَقَّانِي عَبْدِي بِشِبْرٍ تَلَقَّيْتُه بِذِرَاعٍ، وإذا تَلَقَّاني بِذِرَاعٍ تَلَقَّيْتُهُ بِبَاعٍ، وإذا تَلَقَّانِي بِبَاعٍ جِئْتُهُ، أو قَالَ: أَتَيْتُهُ بأَسْرَعَ».

هذا حديث متفق على صحته. وانظر ما قبله.

١٢١٥- عَنْ أَبي ذَرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالى: مَنْ أَتَاني بِحَسَنَةٍ، فَعَشَرَةُ أَمْثَالِها أَو أَزِيدُ، ومَنْ أَتاني بِسَيِّئَةٍ، فَمِثْلُها أَو أَعْفُو، ومَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْراً، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً، ومَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعاً، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ باعاً، ومَنْ أتاني مَشْياً، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، ومَنْ أَتاني بِقِرابِ الأرضِ خَطِيئَةً بَعْدَ أَنْ لا يُشْرِكَ بي شَيْئاً، جَعَلْتُ لَهُ مِثْلَها مَغْفِرَةً».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٦٨٧)، وابن مَنْده في «الإيمان» (٧٨)، (٧٩)، وروي بَعْضُه عند الترمذي (٣٥٤٠) بإسنادٍ لا بأسَ به.

روي عن الأعمش في تفسيره قال: تقربتُ منه ذراعاً، يعني: بالمغفرة والرحمةِ، وكذلك قال بعضُ أهل العلم: إن معناه: إذا تقرَّبَ إليَّ العبدُ بطاعتي واتِّباع أمري، تتسارعُ إليه مغفرتي ورحمتي.

ورُوي عن سعيد بن جُبَيْر في قوله سبحانه وتعالى: ﴿فاذكروني أذكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] قال: اذكُروني بطاعتي أذكُركُم بمغفرتي، قوله: «بقرابِ الأرضِ خطيئةً» أي: بما يُقاربُ ملأها.

وقد دلَّ الحديثُ على أنَّ التوحيد هو أعظمُ أسبابِ المغفرة، قال ابن رجب: فَمَنْ فَقَدَه، فَقَدَ المَغْفِرة، ومَنْ جاءَ به، فقد أَتى بأَعظمِ أَسبابِ المغفرة، قال الله تعالى: ﴿إنَّ الله لا يَغْفِر أَن يُشْرَكَ به، ويغفِرُ ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء: ٤٨] فَمَنْ جاء مع التوحيد بقُرابِ الأرضِ خطايا، لَقِيَه الله بقُرابها مغفرة، لكن هذا مع مشيئة الله عز وجل، فإنْ شاءَ غَفَرَ له، وإنْ شاءَ أَخَذَهُ بذنوبه، ثم كان عاقبته أَنْ لا يُخَلَّدَ في النار، بل يخرج منها، ثم يدخل الجنة.. فمَنْ تحقَّق بكلمة التوحيد قَلْبُه، أَخرَجتْ منه كلَّ ما سوى الله محبَّةً وتعظيماً وإجلالاً ومهابةً وخَشْيَةً ورجاءً وتوكُّلاً، وحينئذٍ تُحرقُ ذنوبُه وخطاياه كلُّها ولو كانت مِثْلَ زبد البحرِ، وربما قَلَبتها حسناتٍ، وانظر «جامع العلوم والحكم» ٢/ ٤٠٠-٤١٨.

باب
من جلس مجلساً لم يذكر الله فيه

١٢١٦- عَنْ صَالِحِ بنِ نَبْهانَ مَوْلَى التَّوْأَمَةِ: أَنَّهُ سَمِعَ أَبا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِساً لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فِيه، ولَمْ يُصَلُّوا فيهِ عَلى النَّبيِّ ﷺ، إلا كانَ عَلَيْهِم تِرَةً يَوْمَ القِيَامَةِ، إنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُمْ، وإنْ شَاءَ أَخَذَهُمْ بِها».

هذا حديث صحيح، أخرجه أحمد (٩٧٦٤)، والترمذي (٣٣٧٧)، وابن السُّني في «عمل اليوم والليلة»: ١٥٩ برقم (٤٤٩).

١٢١٧- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضي الله عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِساً لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فيهِ، ولَمْ يُصَلُّوا عَلى النَّبيِّ ﷺ إلا كانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً».

حديث صحيح، أَخرجه أَحمد (٩٨٤٣)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/ ٨٠ من حديث أَبي أُمامة وقال: رواه الطبراني، ورجاله وُثِّقوا.

أصلُ التِّرَةِ: النقصُ، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ولن يَتِرَكُمْ أعمالَكُم﴾ [محمد: ٣٥] أي: لن يَنْقُصَكم، ومعناها ها هنا: التَّبِعة، يُقال: وَترتُ الرجلَ تِرَةً على وزن وعدته عِدةً.

وقد دلَّ الحديثُ على استحبابِ ذِكْرِ الله تعالى في المجالس، ونَدَبَ إلى الصلاةِ على رسول الله ﷺ لئلاّ يستبدَّ حبُّ الدنيا والحديثُ عنها بقلوبِ الخَلْق، ولأَنَّ في المحافظةِ على هذه السنَّةِ رادعاً للمسلم عن الخَوْضِ في اللَّغْوِ والغيبةِ وما إلى ذلك من آفات المجالس.

باب

أسماء الله سبحانه وتعالى

قَالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿ولله الأَسْماءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِها﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْماءُ الحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠] والاسْمُ: هُوَ المُسَمَّى وذَاتُهُ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾ [مريم: ٧] أَخْبَرَ أَنَّ اسْمَهُ يَحْيَى، ثُمَّ نَادَى الاسْمَ، فَقَالَ: ﴿يا يَحْيَى خُذِ الكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢] ويُقَالُ لِلتَّسْمِيَةِ اسْمٌ، واسْتِعْمالُها في التَّسْمِيَةِ أَكْثَرُ.

وقِيلَ: أَسْمَاءُ اللهِ: أَوْصافُهُ، وأَوْصَافُهُ: مَدَائِحُ لَهُ لا يُمْدَحُ بِها غَيْرُهُ.

واشْتِقَاقُ الاسْمِ قِيْلَ: مِنَ «الوَسْمِ»، و«السِّمَةِ» وهي العَلامَةُ، فَالأَسْمَاءُ سِمَاتٌ، وعَلامَاتٌ لِلْمُسَمَّيَاتِ يُعْرَفُ بِها الشَّيْءُ مِنْ غَيْرِهِ. وهو قَوْلُ نُحاة الكوفة.

وأَكْثَرُ النَّحْوِيِّينَ عَلى أَنَّ اشْتِقَاقَهُ مِنَ السُّمُوِّ والعُلُوِّ، فَكَأَنَّهُ عَلا عَلى مَعْنَاهُ، وظَهَرَ عَلَيْهِ، وصَارَ مَعْنَاهُ تَحْتَهُ، وهٰذَا أَصَحُّ، بِدَلِيْلِ أَنَّكَ إذا صَغَّرْتَهُ، قُلْتَ: سُمَيّ، ولَوْ كانَ مِنَ السِّمَةِ، لَكانَ يُصَغَّرُ على الوُسَيْمِ، كَما يُقَال في الوَعْدِ والعِدَةِ: وُعَيْدٌ، وتَقُولُ في تَصْرِيْفِهِ: سَمَّيْتُ، ولَوْ كانَ مِنَ الوَسْمِ، لَقُلْتَ: وسَمْتُ، وإذا جَمَعْتَه، قُلْتَ: أَسْمَاءٌ، تَرُدُّ إِلَيْها لامَ الفِعْلِ.

وانظر تفصيل المسألة في «اشتقاق أسماء الله» للزجاجي: ٢٥٥، و«الإنصاف في مسائل الخلاف» للأنباري ١/٦، و«اللباب في عِلَل البناء والإعراب» للعكبري ١/٤٦.

١٢١٨- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إنَّ للهِ تِسْعَةً وتِسْعِينَ اسْماً: مئةٌ إلا واحِداً، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ، إِنَّهُ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧).

قوله: «من أحصاها» قيل: أراد عدَّها، وقيل: معناه عرفها، وعَقَلَ معانيها، وآمن بها، يقال: فلان ذو حَصَاةٍ وأصاةٍ: إذا كان عاقلاً مميزاً.

وفي بعض الروايات «مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الجَنَّةَ» وقوله: ﴿وأَحْصَى كلَّ شيءٍ عَدَداً﴾ [الجن: ٢٨] أي: علم عددَ كل شيء.

وقيل: مَنْ أَحصاها، أي: أطاقها، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿عَلِمَ أَن لن تُحصُوهُ﴾ [المزمل: ٢٠] أي: تُطيقوه، يقول: من أطاقَ القيامَ بحقِّ هذه الأسامي والعملَ بمقتضاها، كأنه إذا قال: الرَّزَّاق، وثِقَ بالرزق، وإذا قال: الضَّارُّ النَّافعُ، علم أن الخير والشر منه، وعلى هذا سائر الأسماء.

١٢١٩- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ للهِ تِسْعَةً وتِسْعِينَ اسْماً، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ، هُوَ: اللهُ الَّذي لا إِلٰه إلا هُوَ، الرَّحْمٰنُ، الرَّحِيْمُ، المَلِكُ، القُدُّوسُ، السَّلاَمُ، المُؤْمِنُ، المُهَيْمِنُ، العَزِيْزُ، الجَبَّارُ، المُتَكَبِّرُ، الخالِقُ، البَارِىءُ، المُصَوِّرُ، الغَفَّارُ، القَهَّارُ، الوَهَّابُ، الرَّزَّاقُ، الفَتَّاحُ، العَلِيْمُ، القَابِضُ، البَاسِطُ، الخَافِضُ، الرَّافِعُ، المُعِزُّ، المُذِلُّ، السَّمِيْعُ، البَصِيْرُ، الحَكَمُ، العَدْلُ، اللَّطِيْفُ، الخَبِيْرُ، الحَلِيمُ، العَظِيْمُ، الغَفُورُ، الشَّكُورُ، العَلِيُّ، الكَبِيْرُ، الحَفِيْظُ، المُقِيْتُ، الحَسِيْبُ، الجَلِيْلُ، الكَرِيْمُ، الرَّقِيْبُ، المُجِيبُ، الوَاسِعُ، الحَكِيْمُ، الوَدُودُ، المَجِيْدُ، البَاعِثُ، الشَّهِيْدُ، الحَقُّ، الوَكِيْلُ، القَوِيُّ، المَتِيْنُ، الوَلِيُّ، الحَمِيْدُ، المُحْصِي، المُبْدِىءُ، المُعِيْدُ، المُحْيي، المُمِيْتُ، الحَيُّ، القَيُّومُ، الوَاجِد، الماجِدُ، الواحِدُ، الصَّمَدُ، القَادِرُ، المُقْتَدِرُ، المُقَدِّمُ، المُؤَخِّرُ، الأَوَّلُ، الآخِرُ، الظَّاهِرُ، البَاطِنُ، الوَالي، المُتَعالِي، البَرُّ، التَّوَّابُ، المُنْتَقِمُ، العَفُوُّ، الرَّؤُوفُ، مالِكُ المُلْكِ، ذو الجَلالِ والإكرامِ، المُقْسِطُ، الجامِعُ، الغَنِيُّ، المُغْنِي، المانِعُ، الضارُّ، النَّافِعُ، النُّورُ، الهَادِي، البَدِيْعُ، الباقِي، الوارِثُ، الرَّشِيدُ، الصَّبُورُ».

أخرجه الترمذي (٣٥٠٢) وقال: هذا حديث غريب حدَّثَ به غيرُ واحد عن صفوان بنِ صالح، وهو ثقة عند أهل الحديث.

وقال الحافظ في «الفتح» ١١/٢١٩: ولم ينفرد به صفوان، فقد أخرجه البيهقي من طريق موسى بن أيوب النصيبي، وهو ثقة، عن الوليد أيضاً، وقد صححه ابن حبان (٨٠٨)، والحاكم ١/١٦، وقال النووي في «الأذكار»: إنه حديث حسن، وقال ابن كثير في «تفسيره» ٢/٢٨٠: والذي عَوَّل عليه جماعة من الحفاظ أنَّ سَرْدَ الأسماء مُدْرَجٌ في هذا الحديث، وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم، وعبد الملك بن محمد الصنعاني، عن زهير بن محمد أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك، أي: أنهم جمعوها من القرآن، كما روى جعفر بن محمد، وسفيان بن عيينة، وأبو زيد اللغوي... ثم ليعلم أن الأسماء الحسنى ليست بمنحصرة في التسعة والتسعين، بدليل ما رواه الإمام أحمد في «مسنده» ٦/٢٤٦-٢٤٧ بإسنادٍ ضعيف، عن يزيد بن هارون، عن فضيل بن مرزوق، عن أبي سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أصاب أحداً قط هَمٌّ ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فِيَّ حكمك، عدل فِيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سمَّيْتَ به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو أعلمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني وذهاب همي وغمي، إلا أذهب الله غَمَّه وحُزْنَه، وأبدله مكانه فرحاً» قيل: يا رسول الله ألا نتعلمها؟ فقال: «بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها».

وقد رُوي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، أخرجه الحاكم ١/١٧ بإسنادٍ ضعيف، ولا يُعْلَمُ في كثير من الروايات ذِكْرُ الأسماء إلا في هذا الحديث.

قال رحمه الله: يحتَمِلُ أن يكونَ ذِكْرُ هذه الأسامي من بعض الرواة، وجميعُ هذه الأسامي في كتاب الله، وفي أحاديثِ الرسول ﷺ نصاً أو دلالة. وهو قَوْلُ ابن العربي المالكي في «عارضة الأَحوذي» ١٣/ ٣٤.

ولله عزَّ وجلَّ أسماءٌ سوى هذا الأسامي أتى بها الكتابُ والسُّنَّةُ، منها: الرَّبُّ، والمولى، والنَّصيرُ، والفَاطِرُ، والمحِيطُ، والجَميلُ، والصَّادِقُ، والقَديمُ، والوتْرُ، والحَنّانُ، والمَنّان، والشافِي، والكَفيلُ، وذو الطَّوْلِ، وذو الفَضْل، وذو العَرش، وذو المَعارج وغيرها، وتخصِيصُ بَعْضِهِنَّ بالذكر لكونها أشهرَ الأسماء.

وقيل: معنى قوله: «مَنْ أَحْصَاهَا» معناه: أحصى من أسماء الله تسعاً وتسعين دخل الجنة، سواء أحصى مما جاء في حديث الوليد بن مسلم؛ أو من سائر ما دل عليه الكتاب أو السُّنَّةُ، ذكر هذا المعنى الشيخ أحمد البَيْهَقي رحمه الله.

وذكر الخطابي في «شأن الدعاء»: ٢٨: أَنَّ للإحصاءِ وَجْهاً آخر وهو أَن يكونَ بمعنى العقل والمعرفة، فيكون معناه: أَنَّ مَنْ عَرَفَها وعَقَل معانيها، وآمَنَ بها دَخَلَ الجنة، مأخوذ من الحصاةِ، وهي العَقْلُ. قال طرفة في ديوانه: ٨٥:

وإنَّ لسانَ المَرْءِ ما لم تكُنْ له حَصاةٌ على عوراتِه لَدليلُ

باب

ما قيل في الاسم الأعظم

١٢٢٠- عَنْ أَنَس بنِ مَالك، قَالَ: كُنْتُ جَالِساً مَعَ النَّبيِّ ﷺ في المَسْجِدِ ورَجُلٌ يُصَلِّي، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بأَنَّ لَكَ الحَمْدَ، لا

إلٰـه إلا أنْـتَ المنَّـانُ، بَـدِيْـعُ السَّمـاواتِ والأَرْضِ، يـا ذا الجَـلالِ والإكْرامِ، يا حَيُّ يا قَيُّومُ أَسْأَلُكَ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «هَلْ تَدْرُونَ ما دَعَا؟» قَالُوا: اللهُ ورَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «دَعَا اللهَ باسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذي إذا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وإذا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى».

أخرجه أبو داود (١٤٩٥)، والنسائي ٣/ ٥٢، وابن ماجه (٣٨٥٨) بإسنادٍ صحيح.

والمرادُ باسمِ الله الأَعْظمِ هاهُنا قوله: «يا حي يا قيوم» لما أخرجه أحمد ٦/ ٤٦١ من حديث أسماء بنت يزيد بن السَّكن قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول في هاتين الآيتين ﴿الله لا إلٰه إلا هو الحيُّ القيوم﴾ [البقرة: ٢٥٥] و﴿الٓمٓ. الله لا إلٰه إلا هو الحيُّ القيوم﴾ [آل عمران: ١-٢] «إنَّ فيهما اسمَ الله الأعظم».

«والحيُّ» من صفةِ الله تعالى: هو الذي لم يَزَلْ موجوداً، وبالحياةِ موصوفاً، لم تحدُث له الحياةُ بعد موت، ولا يعترضهُ الموت بعد الحياة، و«القيُّوم»: هو القائمُ الدَائمُ بلا زوال، من القيام وهو نَعْتُ المبالغة في القيام على الشيءِ.

١٢٢١- عن عبد الله بن بُريدة، عَنْ أَبيهِ قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ المَسْجِدَ ويَدي في يَدِهِ، فَإذا رَجُلٌ يُصَلِّي يَقُولُ: اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الوَاحِدُ الأَحَدُ، الصَّمَدُ، الَّذي لَمْ يَلِدْ ولم يُولَدْ، ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «دَعَا الله باسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذي إذا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وإذا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ» فَلَمَّا كانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّانِيَةُ دَخَلْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ المَسْجِدَ، قَالَ: فإذا

ذَلِكَ الرَّجُلُ يَقْرَأُ، قَالَ: فَقَالَ لي رَسُولُ الله ﷺ: «أَتُرَاهُ مُرَائِياً» ثلاث مَرَّاتٍ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «بَلْ هُوَ مُؤْمِنٌ مُنِيْبٌ، عَبْدُ اللهِ بنُ قَيْسٍ، أَوْ أَبو مُوسَى أُوتِيَ مِزْمَاراً مِنْ مَزَامِيْرِ آلِ دَاودَ» قَالَ: قُلْتُ: يا نَبيَّ اللهِ أَلا أُبَشِّرُهُ؟ قَالَ: «بَلَى» فَبَشَّرْتُهُ، فَكَانَ لي أَخاً.

أخرجه أحمد (٢٢٩٥٢)، وأبو داود (١٤٩٣)، والترمذي (٣٤٧٥) بإسنادٍ صحيح.

وأخبرنا عبد الواحد المَلِيحي، أنبأنا محمد بن محمد بن سِمْعَانَ، أخبرنا أبو جعفر الرَّيَّانِي، أخبرنا حُميد بن زَنْجَوَيْه، أخبرنا الحجَّاج بن نُصَير، حدثني مالك بن مِغْول بهذا الإسناد هذا الدُّعَاء، وقال: اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أنتَ اللهُ لا إلٰه إلَّا أَنْتَ، الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لمْ يَلِدْ ولَمْ يُوْلَدْ، ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوَاً أَحَدٌ.

قال الأزهري: الأحد بني لنفي ما يُذْكَرُ معه مِنَ العدد، والواحدُ -بني على انقطاع النظير، والوحيدُ بني على الوحدة والانفراد.

١٢٢٢- عَنْ أَسْمَاءَ ـ هِيَ بِنْتُ يَزِيْدَ ـ أَنَّها قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يَقُولُ: «إنَّ في هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ اسْمَ اللهِ الأَعْظَمَ: ﴿وإلٰهُكُمْ إلٰهٌ واحِدٌ لا إلٰه إلا هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيْمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] و﴿الٓمٓ. اللهُ لا إلٰه إلّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾ [آل عمران: ١، ٢].

أخرجه أحمد (٢٧٦١١)، وأبو داود (١٤٩٦)، والترمذي (٣٤٧٢)، وفي إسناده: عبيد الله بن أبي زياد ليس بالقوي، وشَهْرُ بنُ حَوْشَب تكلَّم فيه غير واحد.

باب

ثواب التسبيح

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [الحجر: ٩٨] وقَالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وإِنْ مِنْ شَيءٍ إلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤].

قال ابن كثير في «التفسير» ٣/ ٤٥: وهذا عامٌّ في الحيوانات والجمادات والنباتات. وهذا أَشْهَرُ القولَيْن كما ثبت في «صحيح البخاري» (٣٥٧٩) عن ابن مسعود أَنَّه قال: كُنَّا نسمع تَسْبيح الطعامِ وهو يُؤْكل. وفي «سنن النسائي» ٧/ ٢١٠ عن عبدالله بن عمرو قال: نهى رسولُ الله ﷺ عن قَتْلِ الضفدع وقال: «نقيقُها تَسْبيح».

١٢٢٣- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ في يَوْمٍ مِئةَ مَرّةٍ حُطَّتْ خَطَاياهُ، وإِنْ كانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ».

هذا حديث متفق على‌صحته، أخرجه البخاري (٦٤٠٥)، ومسلم (٢٦٩١).

وقد صح عن أبي ذر: أن رسولَ الله ﷺ سئل: أيُّ الكلامِ أفضَلُ؟ قال: «مَا اصْطَفَى اللهُ لملائِكته أو لِعِبَادِه: سُبْحانَ اللهِ وبِحَمْده». أخرجه مسلم (٢٧٣١).

وقد ذكر أَهلُ العِلْمِ أَنَّ هذا الفَضْلَ إنَّما هو لأَهْلِ الفَضْلِ في الدين والطهارة من الجرائم العِظام، وليس مَنْ أَصَرَّ على شهواته، وانتهك حرمات الدين بلاحِقٍ بالأَفاضلِ المُطهرين في ذلك. نقله ابن بطال في شرح البخاري ١٠/ ١٣٤.

١٢٢٤- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ قَالَ حِيْنَ يُصْبِحُ وحِيْنَ يُمسي: سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ مِئَةَ مَرَّةٍ لَمْ يَأتِ أَحَدٌ يَوْمَ القِيَامَةِ بأَفْضَلَ ممَّا جَاءَ بهِ إلا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ، أَو زادَ عَلَيْهِ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٦٩٢).

١٢٢٥- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيْفَتَان على اللِّسَانِ، ثَقِيْلَتانِ في المِيْزَانِ، حَبِيْبَتانِ إلى الرَّحْمٰنِ: سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ، سبْحانَ اللهِ العَظِيْمِ».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٦٦٨٢) و(٧٥٦٣)، ومسلم (٢٦٩٤).

قوله: «خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان»: وصفهما بالخِفَّةِ والثِّقَلِ لبيانِ قِلَّةِ العمل وكثرة الثواب. ونقل الحافظ في «الفتح» ١٣/ ٥٥٠ عن الطيبي قوله: الخِفَّةُ مستعارةٌ للسهولة، وشَبَّه سُهولةَ جريانها على اللسان بما خَفَّ على الحاملِ من بعضِ الأَمتعة فلا تُتعبه كالشيء الثقيل. وفيه إشارةٌ إلى أَنَّ سائِرَ التكاليفِ صَعْبَةٌ شاقَّةٌ على النفسِ، وهذه سَهْلَةٌ عليها مع أَنَّها تُثقلُ الميزانَ كَثِقل الشَّاقِّ من التكاليف.

١٢٢٦- عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ العَظِيْمِ وبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ في الجَنَّةِ».

أخرجه الترمذي (٣٤٦٠) وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرِفُه إلا مِنْ حديث أبي الزُّبيْر. وصحَّحه ابن حبان (٨٢٦) وفيه تمام تخريجه.

١٢٢٧- عَنْ سَعْدِ بنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنَّا جُلُوساً عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ في كلِّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ» قَالُوا: وكَيْفَ

يَكْسِبُ أَحَدُنا يا رَسُولَ الله أَلفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: «يُسَبِّحُ مِئَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ بِها أَلفُ حَسَنةٍ أَو يُحَطُّ عَنْهُ بِها أَلفُ خَطِيْئَةٍ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مُسْلم (٢٦٩٨)، وأحمد (١٤٩٦)، وابن حبان (٨٢٥)، والطبراني في «الدعاء» (١٧٠٣)، والترمذي (٣٤٦٣)، وأبو يعلى (٧٢٣)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٥٢).

قوله: «أَو يُحَطُّ» كذا هو عند مسلم وأحمد بأو، وعند غيرهما: «ويُحَطُّ» بالواو.

١٢٢٨- عَنْ جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الحَارِث بن أبي ضِرَارٍ: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ خَرَجَ ذَاتَ غَدَاةٍ مِنْ عِنْدِهَا، وكانَ اسمُها بَرَّةَ، فَحَوَّلَهُ رَسُولُ الله ﷺ، فَسَمَّاهَا جُوَيْرِيَةَ، وكَرِهَ أَنْ يُقَالَ: خَرَجَ مِنْ عندِ بَرَّةَ، فَخَرَجَ وهي في المَسْجِدِ، فَرَجَعَ بَعْدَمَا تَعَالَى النَّهارُ، فَقَالَ: «مَا زِلتِ في مَجْلِسِكِ هَذا مُنْذُ خَرَجْتُ بَعْدُ؟» قَالت: نَعَمْ، فَقَالَ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلاثَ مَرَّاتٍ لَوْ وُزِنَّ بِكَلِمَاتِكِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، ورِضَا نَفْسِهِ، وزِنَةَ عَرْشِهِ، ومِدَادَ كَلِماتِه».

هذا حديث صحيح، أخرجه مُسْلم (٢٧٢٦).

قوله: «ومداد كلماته» المداد بمعنى المدد، أي: قدر ما يوازيها في الكثرة والعدد. واستعماله هنا مجاز لأن كلماته تعالى لا تنحصر بعدد، والمرادُ المبالغةُ في الكثرة، لأنه ذكر أَوَّلًا ما يحصره العدد الكثير من عدد الخَلْقِ، ثم زِنَة عَرْشِهِ التي لا يعلمها إلّا هو سبحانه، ثم ارتقى إلى ما هو أَعظمُ وعَبَّرَ عنه بهذا اللفظ الذي لا يحصيه عدد.

قوله: «ورضا نَفْسِه» أي: رضاه عمَّن رضي الله عنه من النبيين والصِّدِّيقين والصالحين. أفاده الأُبيُّ في «شرح مسلم» ٩/ ١٣٠-١٣١.

باب

عقد التسبيح باليد

١٢٢٩- عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرو قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَعْقِدُ لِلتَسْبِيحِ.

وفي رواية لأبي داود (١٥٠٢) يعقد التسبيح بيمينه، وهو حديث صحيح. وصححه ابن حبان (٨٤٣)، وأخرجه مطوَّلاً أحمد (٦٤٩٨)، وأبو داود (٥٠٦٥)، والترمذي (٣٤٨)، والنسائي ٣/ ٧٤.

ويروى قال عبد الله بن عمر: أنا رأيتُ رسولَ الله ﷺ يعقِدُها خلْفَ صلاته بيده، يعني التسبيحات، والتحميدات، والتكبيرات.

وقوله: «يعقدهنَّ» أي: يَضْبِطُهُنَّ ويحفظُ عَدَدَهُنَّ، أو يعقدُ لأَجْلِهِنَّ بيده.

باب

ثواب التحميد

١٢٣٠- عَنْ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَفْضَلَ الدُّعَاءِ الحَمْدُ للهِ، وأَفْضَلَ الذِّكْرِ لا إِلٰهَ إلا اللهُ».

إسناده حسن، أخرجه الترمذي (٣٣٨٠)، وابن ماجه (٣٨٠٠)، وصحَّحه ابن حبان (٨٤٦)، والحاكم ١/ ٥٠٣ ووافقه الذهبي.

قوله: «أفضل الدعاءِ الحمد لله»: إنَّما جُعِلَ دعاءً لأَنَّ الدعاءَ عبارةٌ عن ذِكْرِ الله وأَن يطلُبَ منه حاجته، والحديث يشملها، فإنَّ مَنْ حَمِدَ الله إنَّما يَحْمَدُ

على نعمته، والحَمْدُ على النعمة طَلَبُ مزيدٍ قال تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنَّكم﴾ [إبراهيم: ٧] وإلى هذا أشار الحكيم الترمذي في «نوادر الأُصول» قال: قال وكيع: «الحمدُ لله» شُكْرُ «لا إلٰهَ إلّا الله» قال الحكيم: فيا لها من كلمةٍ لوكيع! لأَنَّ لا إلٰه إلّا الله أعظمُ النعم، فإذا حَمِدَ الله عليها كان في حكمة الحمد.

وقوله: «أَفْضَلُ الذكر لا إله إلّا الله» قيل: إنَّما جُعِلَ أَفْضَلَ الذكْرِ لأَنَّ له تأثيراً في تطهير الباطن عن الأَوصاف الذميمة، التي هي معبوداتٌ في الظاهر قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ من اتَّخَذَ إلٰهه هواه﴾ [الجاثية: ٢٣] فيُفيد نَفْيَ عُمومِ الآلهة بقوله: لا إلٰه إلّا الله. ويعودُ الذكْرُ من ظاهرِ لسانه إلى باطن قَلْبِه فيتمكَّنُ فيه ويستولي على جوارحه. ووجد حلاوةَ هذا مَنْ ذاق. وقيل: إنَّما جُعِلَ أَفْضَلَ لأَنَّه لا يصحُّ الإيمانُ إلَّا به. أفاده السندي في «حاشية ابن ماجه» ٢/ ٤٢٠.

١٢٣١- عَنِ ابن عَبَّاس قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى إلى الجَنَّـةِ يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِيْنَ يَحْمَدُونَ اللهَ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ».

ضعيف، في سنده عند المصنف نصر بن حماد الوراق، وهو متروك، ورواه من طريق آخر الطبراني في «الصغير» ١/ ١٠٣، والأوسط (٣٠٥٧)، والحاكم ١/ ٥٠٢، وفي سنده ضعف.

١٢٣٢- عَنْ عَبْدِ اللهِ بن عَمْرٍو قَالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الحَمْدُ رأْسُ الشُّكْرِ، مَا شَكَرَ اللهَ عَبْدٌ لا يَحْمَدُهُ».

أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٣٩٥) ورجال إسناده ثقات لكنه منقطع بين قتادة وعبد الله بن عمرو.

قوله: «الحَمدُ رَأسُ الشُّكْرِ» قيل: الحمدُ هو الشكرُ، وقيل: الحَمْدُ أَعَمُّ، فإنَّ الحمدَ يكون بمعنى الثناء عليه بما فيه من خصال الحمد، كما يكونُ على نِعَمِهِ، يقال: حَمِدْتُ فلاناً على ما أسدى إليَّ من النعمة، وحَمِدْتُه على علمه وشجاعته، والشكر لا يكونُ إلا على النِّعمة، فالحمد أعمُّ من الشكر، إذ لا يقالُ: شَكرتُه على علمه، فَكُلُّ حامدٍ شاكر، وليس كلُّ شاكرٍ حامداً.

وقيل: الحمدُ باللسان قولاً، قال اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿وقُلِ الحَمْدُ للهِ﴾ [الإسراء: ١١١] والشكر بالأركان فعلاً، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿اعمَلُوا آلَ داودَ شُكراً﴾ [سبأ: ١٣].

وقيل: للشكر ثلاثُ منازلٍ: شكرُ القلب وهو الاعتقادُ بأن الله وَلِيُّ النِّعَمِ، وشكرُ اللسان وهو إظهارُ النِّعْمَةِ باللسان، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وأمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] والحمد لله رأسه، كما أن كلمةَ الإخلاصِ -وهو قولُ: لا إله إلا الله- رأسُ الإيمان، وشكر العمل بالأركان، قال سبحانه وتعالى: ﴿اعمَلُوا آل داودَ شكراً﴾، وقيل: الحمد: الرِّضا.

وما يُكتب في صَدْرِ الكتب: أما بَعْدُ، فإنيِّ أَحْمَدُ إليك اللهَ الذي لا إله إلا هو، قيل: معناه: أحمدُ معك، وقيل: أشكر إليك نِعَمَه، وأحدثك بها.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وآخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالِمِيْنَ﴾ [يونس: ١٠] أي: آخر دعائهم، وقد تكرن «الدعوى» بمعنى الادعاء قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فما كان دَعْواهُمْ إذ جاءَهُم بَأسُنَا﴾ [الأعراف: ٥] وقيل: الدعاء: الغوثُ، يقال: دعا: إذا استغاث، ومنه قولُه سبحانه وتعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] يقول: اسْتَغِيْثُوا بي إذا نَزَلَ بكُم ضُرٌّ، أَسْتَجِبْ لكم دعاءَكم، أي: غَوْثَكُم، وقال ابن عبَّاس في قوله: ﴿دَعْوَاهُمْ فيها سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ [يونس: ١٠] قال: كلما اشتهى أهلُ الجنة شيئاً قالوا:

سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ، فيجيئهم ما يشتهون، فإذا طَعِمُوا مما آتاهم الله قالوا: الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، فذلك آخر دعواهم.

باب

ثوابِ التهليلِ

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالى: ﴿وأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ [الفتح: ٢٦]، قَالَ مُجَاهِدٌ: كَلِمةُ التَّقْوَى: لا إلٰه إلا اللهُ.

وقَالَ الله تَبَارَكَ وتَعَالى: ﴿وجَعَلَ كَلِمةَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾ يَعْني: الشِّرْكَ ﴿وكَلِمَةُ اللهِ هي العُلْيا﴾ [التوبة: ٤٠] لا إلٰه إلا اللهُ، ﴿وجَعَلَهَا باقِيَةً﴾ [الزخرف: ٢٨] يَعْني: لا إلٰه إلّا الله، وقَالَ: ﴿ولَهُ المَثَلُ الأَعْلى﴾ [الروم: ٢٧] أي: التَّوحِيدُ، والخَلْقُ، والأَمْرُ، ونَفْيُ كُلِّ إلٰهٍ سِوَاهُ، وتَرْجَمَ عَنْ هٰذَا كُلِّه بِقَوْلِ: لا إلٰهَ إلّا اللهُ.

١٢٣٣- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لا إلٰهَ إلا اللهُ وحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، ولَهُ الحَمْدُ، وهُوَ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيْرٌ في يَوْمٍ مئَةَ مَرَّةٍ كانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وكُتِبَتْ لَهُ مئَةُ حَسَنةٍ، ومُحِيَتْ عَنْهُ مئَةُ سَيِّئةٍ، وكانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، ولَمْ يَأتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إلا أَحَدٌ عَمِلَ بأَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٦٤٠٣)، ومسلم (٢٦٩١).

قوله: «وكانت له حِرْزاً من الشيطان» يعني أَنَّ اللهَ يحفظه يومَه ذلك، فلا يَقَعُ منه زلَّةٌ ولا وَسْوَسَةٌ ببركةِ هذا الذِّكْرِ. قال ابن عبد البَرِّ في «التمهيد» ٢٢/ ١٩: وفي هذا الحديثِ دليلٌ على أَنَّ الذِكْرَ أَفْضَلُ الأَعْمالِ.

وفيه: أَنَّ الكلامَ بالخَيْرِ من ذِكْرِ الله تعالى وتلاوة القُرآنِ وأعمال البِرِّ أَفْضَلُ من الصمت، وكذلك القَوْل بالحقِّ كلِّه، والإصلاح بين النَّاس وما كان مثله، وإنَّما الصمتُ المحمودُ الصمتُ عن الباطل.

١٢٣٤- عَنْ أَبي سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ مُوسَى النَّبيُّ ﷺ: يَا رَبِّ عَلِّمْنِي شَيْئاً أَذْكُرُكَ بهِ ـ أَوْ أَدْعُوكَ بِهِ ـ فَقَالَ: يا مُوسَى قُلْ: لا إِلٰه إلا اللهُ، فَقَالَ: يا رَبِّ، كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُ هٰذَا، إنَّما أُرِيْدُ شَيْئاً تَخُصُّنِي بِهِ، قَالَ: يا مُوسَى لَوْ أَنَّ السَّماواتِ السَّبْعَ وعَامِرَهُنَّ غَيْري، والأَرَضِيْنَ السَّبْعَ وُضِعْنَ في كِفَّةٍ، ولا إلٰهَ إلا اللهُ في كِفَّةٍ لمالَتْ بِهِنَّ لا إِلٰهَ إلا الله».

إسناده ضعيف، وأخرجه النسائي في «اليوم والليلة» (٨٣٤)، وابن حبان (٦٢١٨)، والحاكم ١/٥٢٨، وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢٢٨٦).

١٢٣٥- عن سعيد بن المسَيِّب، عَنْ أَبيهِ قَالَ: لمَّا حَضَرتْ أَبا طَالِبِ الوَفَاةُ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبا جَهْلٍ، وعَبْدَ اللهِ بنَ أَبي أُمَيَّةَ بن المُغِيْرَةِ، فَقَالَ: «أَيْ عَمِّ! قُلْ: لا إِلٰه إلا اللهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بها عِنْدَ اللهِ» فَقَالَ أَبو جَهْلٍ وعَبْدُ اللهِ بنُ أَبي أُمَيَّة: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ ويُعِيْدَانِهِ بِتِلْكَ المَقَالَةِ، حَتَّى قَالَ أَبو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهمْ: عَلى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ وأَبى أَنْ يَقُولَ: لا إِلٰهَ إلا اللهُ، قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «واللهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ» فَأَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ والَّذِيْنَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِيْنَ﴾ [التوبة: ١٣] وأَنْزَلَ اللهُ

عَزَّ وجَلَّ في أَبي طالبٍ، فَقَالَ لِرَسُولِ الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ولٰكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٥].

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤).

قوله: «لمَّا حَضَرت أَبا طالب الوفاةُ» أي: قَرُبَتْ وحضرت دلائلُها وذلك قَبْلَ المُعاينةِ والنَّزْعِ، ولو كان في حال المعاينةِ والنَّزْعِ لما نَفَعَهُ الإيمان لقوله تعالى: ﴿وليست التوبةُ للذين يعملون السيئات حتى إذا حَضَرَ أَحدَهم الموتُ قال إني تُبْتُ الآن﴾ [النساء: ١٨].

قوله: «حتى قال أَبو طالب آخِرَ ما كلَّمهم: على مِلَّة عبد المُطَّلب» قال النووي في «شرح مسلم» ١/ ٢٧٤: هذا من أحسن الآداب والتصرُّفات وهو أَنَّ مَنْ حكى قَوْلَ غيره القَبيحَ أَتى به بضمير الغيبة لقبْحِ صورةِ لَفْظِهِ الواقع. وفي قوله: «والله لأَسْتغفرنَّ لك»: جوازُ الحَلِفِ بالله من غير استحلاف وكأَنَّ الحَلِفَ هنا لتوكيد العَزْمِ على الاستغفارِ وتَطْييباً لنفسِ أبي طالب.

١٢٣٦- عَنْ أَبي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: لا إِلٰهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، ولَهُ الحَمْدُ، وهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ بَعْدَ صَلاَةِ الغَدَاةِ كُنَّ لَهُ كَعَدْلِ أَرْبَعِ رِقَابٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيْلَ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٦٩٣).

باب

ثواب سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر

١٢٣٧- عَنْ سَمُرَةَ بنِ جُنْدَبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَحَبُّ الكَلام إلى اللهِ أَرْبَعٌ: لا إِلٰهَ إلا اللهُ، واللهُ أَكْبَرُ، وسُبْحَانَ اللهِ،

والحَمْدُ للهِ، لا يَضُرُّكَ بأيِّهِنَّ بَدَأْتَ، لا تُسَمِّ غُلامَكَ يَساراً ولا رَبَاحاً، ولا نَجَاحاً، ولا أَفْلَحَ، فإنَّك تَقُولُ: ثَمَّ هُوَ؟ فَلا يَكُونُ، فَيَقُولُ: لا».

إنَّما هُنَّ أَرْبَعٌ، فلا تَزِيدُنَّ عَلَيَّ.

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢١٣٧).

قوله: «أَحبُّ الكلام إلى الله» أي: أَحقُّ بالقَبولِ وأَكْثَرُ ثواباً. ويعني بالكلام ما تضمَّنَ ذِكْراً. وإنَّما كانت هذه الكلمات كذلك لأنَّها تضمَّنت تنزيهه عن كلِّ ما يستحيل، ووصْفَهُ بكُلِّ ما يَجِبُ من صفات الكمالِ وانفراده بالوحدانية واختصاصه بالعظمة.

قوله: «فلا تزيدُنَّ عليَّ» بضم الدال ومعناه: أَنَّ الذي سَمِعْتُ إنَّما هي أَرْبَعٌ، فلا تنقلوا عني غير الأَربع. والمراد هذه الأَسماء الأَربع. قال النووي ٤٣٩/٨: وليس فيه مَنْع القياس على الأَربع وأَنْ يُلْحَقَ بها ما في معناها. قال أَصحابنا: يكره التسمية بهذه الأسماء المذكورة في الحديث وما في معناها. ولا تختصُّ الكراهةُ بها وَحْدَهَا، وهي كراهةُ تنزيه لا تحريم.

ويحتجُّ بهذا الحديث مَنْ يذهبُ إلى أن من حلف أن لا يتكلم اليومَ، فسبَّحَ، أو كبَّر، أو هَلَّلَ، أو ذكرَ الله: أنه يَحْنَثُ، لأن الكلَّ كلام، وهو قولُ بعضِ أهل العلم، وذهب قومٌ إلى أنه لا يَحْنَثُ إلا أن يُريده بنيته.

١٢٣٨- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ، والحَمدُ للهِ، ولا إلٰهَ إلا اللهُ، واللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إليَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمس».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٦٩٥) والمعنى: أَنَّه لو كانت له الدنيا فأَنْفَقَهَا في وجوه البِرِّ، وإلَّا فالدنيا من حيث إنَّها دُنْيا لا تَعْدِلُ عند الله

جناحَ بعوضة وكذا هي عند أَنبيائه وأَهْلِ معرفته، فكيف تكونُ أَحَبَّ إِليه من ذِكْرِ الله سبحانه الذي يحصلُ به ذلك الثواب العظيم.

١٢٣٩- عن مصعب بن سَعْد، عَنْ أَبيهِ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يا رَسُولَ الله عَلِّمْني كلاماً أَقُولُهُ، قَالَ: «قُلْ: لا إِلٰهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيْراً، والحَمْدُ للهِ كَثِيْراً، وسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ العَزِيْزِ الحَكِيْمِ» قَالَ: هٰؤُلاءِ لِرَبِّي فَما لي؟ قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي، وارْحَمْنِي، وعَافِنِي، وارْزقْنِي».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٦٩٦).

قوله: «هؤلاء لربي» أي: هي حقٌّ له، لأَنها أَوصافُه، فما الذي لي، فدلَّه رسولُ الله ﷺ على دعاءٍ يشمل مصالح الدنيا والآخرة، أَي: اغفر لي ذنوبي السابقة، وارحمني بنعمتك المتوالية، واهدني إِلى السبيلِ المُوصِلِ إِليك، وارزقني ما أَستَعينُ به على ذلك.

١٢٤٠- عَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ سَعْدِ بنِ أَبي وقَّاصٍ، عَنْ أَبيها: أَنَّهُ دَخَلَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ عَلى امْرَأَةٍ وبَيْنَ يَدَيْها نَوىً وحَصىً، تُسَبِّحُ بِهِ، فَقَالَ: «أَلا أُخبِرُك بِما هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكِ مِنْ هٰذَا وأَفْضَلُ؟ سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ ما خَلَقَ في السَّمَاءِ، سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ ما خَلَقَ في الأَرْضِ، وسُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ ما بَيْنَ ذٰلِكَ، وسُبْحَانَ اللهِ عَدَد ما هو خالِقٌ، واللهُ أَكْبَرُ مِثْلَ ذٰلِكَ، والحَمدُ للهِ مِثْلَ ذٰلِكَ، ولا إِلٰهَ إِلّا اللهُ مِثْلَ ذٰلِكَ، ولا حَوْل ولا قُوَّةَ إلا باللهِ مِثْلَ ذٰلِكَ».

أخرجه أَبو داود (١٥٠٠)، والترمذي (٣٥٦٨) وحسَّنه، وصححه الحاكم ١/ ٥٤٧ ووافقه الذهبي، وصححه ابن حبان (٨٣٧) وفيه تمام تخريجه.

١٢٤١- عَنْ أُمِّ هَانىءٍ: أَنَّها شَكَتْ إلى رَسُولِ الله ﷺ ضَعْفاً بها، فَقَالَ لَها: « سَبِّحِي مِئَةَ تَسْبِيْحَةٍ، فَإِنَّها خَيْرٌ مِن مِئَةِ رَقَبَةٍ تُعْتِقِيْنَها، واحْمَدِي مِئَةَ مَرَّةٍ، فَإِنَّها خَيْرٌ مِنْ مِئَةِ فَرَسٍ تَحْمِلِينَ عَليها في سَبيلِ اللهِ، وكَبِّرِي مِئَةَ تَكْبِيرَةٍ، فإنها خَيْرٌ مِن مِئةِ بَدَنَةٍ تُهْدِيْنَها إلى بَيْتِ اللهِ، وقُولي: لا إلٰهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، ولَهُ الحَمْدُ، وهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ مئةَ مَرَّةٍ، فَإِنَّها خَيْرٌ مِمَّا بَيْنَ السَّماءِ والأَرْضِ، ولَنْ يُرْفَعَ يَوْمَئِذٍ لأَحَدٍ عَمَلٌ أَفْضَلُ مِنْهُ إلا مَنْ قَالَ مِثْلَ ما قُلْتِ أَو زَادَ».

أخرجه أحمد (٢٦٩١١)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٤٤) بنحوه من طريق عاصم بن بهدلة، عن أبي صالح، عن أم هانىء، وأبو صالح واسمه باذام ضعيف. وأخرجه أحمد في «المسند» أيضاً (٢٧٣٩٣) من طريق أبي معشر، عن مسلم بن أبي مريم، عن صالح مولى وَجْزة، عن أم هانىء، أبو معشر ضعيف، وصالح مولى وَجْزة لا يُعْرَفُ. وأخرجه الطبراني في «الأوسط» ٦/٢٤٧-٢٤٨ برقم (٦٣١٣).

١٢٤٢- عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا عَلى الأَرْضِ رَجُلٌ يَقُولُ: لا إلٰهَ إلّا الله، واللهُ أَكْبَرُ، وسُبْحَانَ اللهِ، والحمدُ لله، ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ، إلا كُفِّرَتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ وإنْ كانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ البَحْرِ».

إسناده حسن، أخرجه الترمذي (٣٤٦٠) وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريب.

١٢٤٣- عَنْ أَبي سَعِيْدٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «اسْتَكْثِرُوا مِنَ الباقِياتِ الصَّالِحَاتِ» قِيْلَ: ومَا هُنَّ يا رَسُولَ الله؟ قال: «المِلَّةُ»

قِيْلَ: ومَا هِيَ يا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «التَّكْبِيرُ، والتَّهْلِيْلُ، والتَّسْبِيحُ، والحَمدُ للهِ، ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ».

حديث حسن لغيره، أخرجه أحمد (١١٧١٣)، وابن حبان (٨٤٠)، والحاكم ١/ ٥١٢، وله شاهد عند أحمد برقم (٥١٣) من حديث عثمان رضي الله عنه وإسناده حسن، وعند الطبري في «التفسير» ١٥/ ٢٥٥ من حديث أبي هريرة بإسنادٍ حسن أيضاً.

باب

فضل لا حول ولا قوة إلا بالله

١٢٤٤- عَنْ أَبي مُوسَى الأَشْعَري قَالَ: لمَّا غَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْبَرَ ـ أَوْ قَالَ: لَمَّا تَوَجَّه رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى خَيْبَرَ ـ أَشْرَفَ النَّاسُ عَلى وَادٍ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بالتَّكْبِيْرِ: اللهُ أَكْبَرُ، لا إلٰهَ إلّا اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ارْبَعُوا عَلى أَنْفُسِكُمْ، إنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ، ولا غَائِباً، إنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيْعاً قَرِيْباً، وهُوَ مَعَكُمْ» وأَنَا خَلْفَ دَابَّةِ رَسُولِ الله ﷺ، فَسَمِعَنِي وأَنا أَقُولُ: لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ، فَقَال: «يا عَبْدَ اللهِ بنَ قَيْسٍ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يا رَسُولَ الله. قَالَ: «أَلا أَدُلُّكَ على كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزِ الجَنَّةِ؟» قُلْتُ: بَلَى يا رَسُولَ اللهِ فِداكَ أَبِي وأُمِّي، قَالَ: «لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٤٢٠٥)، ومسلم (٢٧٠٤).

قوله: «ارْبَعُوا على أنفُسِكُم» أي: ارفُقُوا بها، ويقال: ارْبَعْ على نفسك أي: انتظر، ويقال: معناه: أَمسِكُوا عن الجهر، وقِفُوا عنه، يقال: رَبَعَ الرَّجُلُ بالمكان: إذا وقف عن السير وأقام.

١٢٤٥-عَنْ أَبي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ كَنْزٌ مِنْ كُنُوز الجَنَّةِ».

أَخرجه ابن ماجه (٣٨٢٥) بإسنادٍ صحيح، وصححه ابن حبان (٨٢٠).

قيل: الحول: الحيلة، وقيل: الحول: الحركة، يقول: لا حَرَكَةَ ولا استطاعةَ إلا بمشيئة الله تعالى، وقيل: معناه: الدفعُ والمنعُ.

باب

الاستغفار

قالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالى: ﴿وأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إليهِ﴾ [هود: ٣]. أَي: استغفروه من سالفِ ذنوبكم، وتوبوا إليه من المستأنفِ متى وقعت منكم. وقال الفرَّاء: «ثم» هنا بمعنى «الواو»، أَي: وتوبوا إليه، لأَنَّ الاستغفارَ هو التوبةُ، والتوبة هي الاستغفار.

١٢٤٦- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ في اليَومِ وأَتُوبُ إِلَيْهِ سَبْعِيْنَ مَرَّةً».

هذا حديث صحيح، أَخرجه البخاري (٦٣٠٧).

١٢٤٧- عَنِ الأَغَرِّ المُزَنِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّهُ لَيُغَانُ عَلى قَلْبي، وإني لأَسْتَغْفِرُ اللهَ في كُلِّ يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٧٠٢)، وأَبو داود (١٥١٥).

قوله: «إنَّه لَيُغَانُ على قلبي» أي: يُغطَّى عليه وأصلُه من الغَيْن، وهو الغطاء والحائل بينك وبين الشيء، ومنه قِيل للغيم: غينٌ.

قال القاضي عياض في «الشفا» ٢/ ٧١١: فاحذَرْ أن يَقَعَ ببالك أَن يكونَ هٰذا الغَيْنُ وَسْوَسَةً أَو رَيْناً وَقَعَ في قلبه عليه السلام، بل أَصْلُ الغَيْنِ في هٰذا: ما يتغشَّى القَلْبَ ويُغَطِّيه، وقال أَبو عُبَيْد: وأَصْلُهُ من غَيْنِ السماءِ، وهو إطباقُ الغَيْمِ عليها. ثم قال: فيكون المراد بهذا الغَيْنِ إشارةً إلى غَفَلاتِ قَلْبه وفَتَراتِ نَفْسِهِ وسَهْوِها عن مداومةِ الذكْرِ ومشاهدة الحقِّ بما كان ﷺ دُفِعَ إليه من مقاساةِ البشر، وسياسة الأُمة، ومعاناة الأَهْلِ، ومقاومة الولي والعدوِّ، وكُلِّفه من أَعباءِ أداءِ الرسالة، وحَمْلِ الأمانة، وهو في كلِّ هذا في طاعة ربِّه وعبادة خالقه؛ ولكن لمّا كان ﷺ أَرْفَعَ الخلق عند الله مكانة، وأَعلاهم درجةً، وأَتَمَّهُمْ به معرفةً، وكانت حالُه عند خلوصِ قلبه، وخُلوِّ همَّتِه، وتفرُّده بربِّه، وإقباله بكُلِّيته عليه، ومقامُه هنالك أَرْفَعَ حالَيْه رأى ﷺ حال فَتْرَته عنها، وشُغْله بسواها، غَضّاً مِن عليِّ حالِه، وخَفْضاً من رفيع مقامه، فاستغفر الله من ذلك.

١٢٤٨- عَنْ أَبي بردة: أنه سَمِعَ الأَغَرَّ يُحَدِّثُ ابنَ عُمَرَ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يا أَيُّها النَّاسُ تُوبُوا إلى رَبِّكُمْ، فَإني أَتُوبُ إلى رَبِّي كُلَّ يَوْمٍ مئَةَ مَرَّةٍ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٧٠٢).

١٢٤٩- عَنِ ابنِ عُمَرَ قال: إنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ في المَجْلِسِ يَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لي، وتُبْ عَليَّ، إنَّكَ أَنْتَ التَّوابُ الرَّحِيْمُ» مئَةَ مَرَّةٍ.

أَخرجه أَحمد (٤٧٢٦) بإسنادٍ صحيح على شرط الشيخين، وابن أَبي شيبة ١٠/ ٢٩٧، وأَبو داود (١٥١٦)، وابن ماجه (٣٨١٤) وانظر تمام تخريجه في «المسند».

قال السندي: والمقصودُ من هذا الذكرِ تعليمُ الأُمة، والازديادُ من مَحَبَّةِ الله تعالى لقوله تعالى: ﴿إنَّ الله يحبُّ التوابين﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وإلاّ فقد غُفِرَ له ما تقدَّمَ مِنْ ذَنْبِه وما تأخَّر، إنْ كان له ذَنْب.

١٢٥٠- عن عبد الرحمٰن بن أبي عَمْرَة، قال: سَمِعْتُ أَبا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إنَّ عَبْداً أَذْنَبَ ذَنْباً، فَقَالَ: أَذْنَبْتُ ذَنْباً فَاغْفِرْهُ لي، قَالَ: فَقَالَ رَبُّهُ عَزَّ وجَلَّ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبّاً يَغْفِرُ الذَّنْبَ ويَأْخُذُ بِهِ، فَغَفَرَ لَهُ، فَمكثَ مَا شَاء اللهُ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْباً آخَرَ، فَقَالَ: أَذْنَبْتُ ذَنْباً فَاغْفِرْهُ لي، قَالَ: قَالَ رَبُّه: عَلِمَ عَبْدي أَنَّ لَهُ رَبّاً يَغْفِرُ الذَّنْبَ، ويَأْخُذُ بِهِ، فَغَفَرَ لَهُ، فَمَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْباً آخَرَ، فَقَالَ: أَذْنَبْتُ ذَنْباً فَاغْفِرْهُ لي، قَالَ: قَالَ رَبُّهُ عَزَّ وجَلَّ: عَلِمَ عَبْدي أَنَّ لَهُ رَبّاً يَغْفِرُ الذَّنْبَ، ويَأْخُذُ بِهِ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدي، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٧٥٠٧)، ومسلم (٢٨٥٨).

قوله: «يأخذُ به» أي: يُعاقبُ عليه: قال القرطبي في «المُفْهم»: يدلُّ هذا الحديثُ على عظيم فائدة الاستغفار وعلى عظيم فَضْلِ الله وسَعَةِ رحمته وحِلْمِهِ وكَرمه، لكن هذا الاستغفار هو الذي ثبت معناه في القَلْبِ مقارِناً للسانِ لِيَنْحَلَّ به عَقْدُ الإصرارِ ويَحْصُلَ معه النَّدَمُ فهو ترجمةٌ للتوبة. ويشهد له ما أخرجه ابن ماجه (٤٢٥٠) بإسنادٍ حسَّنه الحافظ في «الفتح» ١٣/ ٤٨٠ من حديث ابن مسعود مرفوعاً: «التائبُ من الذنب كمن لا ذَنْبَ له» ومعناه: الذي يتكرر منه الذنبُ والتوبة، فكلَّما وقع في الذَّنْبُ عاد إلى التوبة، لا مَنْ قال: أستغفر الله بلسانه وقلبُه مُصِرٌّ على المعصية.

١٢٥١- عَنْ أَبي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فيما رَوى عَنْ رَبِّهِ أَنَّهُ قَالَ: «يا عِبادِي إني حَرَّمْتُ الظُّلْمَ على نَفْسِي، فَجَعَلْتُهُ بَيْنَكم مُحَرَّماً، فلا تَظَالَمُوا، يا عِبادي كُلُّكُم ضَالٌّ إلاّ مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُوني أَهْدِكُمْ، يا عِبادي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إلا مَنْ أَطْعَمْتُه، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يا عِبادي كُلُّكُمْ عَارٍ إلاّ مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ باللَّيْلِ والنَّهارِ، وأَنا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يا عِبادي إنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، ولَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يا عِبَادي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ، وجِنَّكُمْ وإنْسَكُمْ كانُوا عَلى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ واحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذٰلِكَ في مُلْكي شَيْئاً، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ، وإنْسَكُمْ وجِنَّكُمْ كانُوا عَلى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ واحِدٍ مِنْكُمْ ما نَقَصَ ذٰلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً، يا عِبَادي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ، وإنْسَكُمْ وجِنَّكُمْ قَامُوا في صَعِيْدٍ واحِدٍ فَسَأَلُونِي كُلُّ واحِدٍ مِنْكُمْ مَسْأَلَتَهُ، فَأَعْطَيْتُهُ، مَا نَقَصَ ذٰلِكَ مِمَّا عِنْدي إلا كما يَنْقُصُ المِخْيَطُ إذا أُدْخِلَ في البَحْرِ، يا عِبَادي إنَّما هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيْهَا لَكُمْ، وأُوَفِّيكُمْ إيَّاهَا يَوْمَ القِيَامَةِ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدِ اللهَ، ومَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذٰلِكَ، فَلا يَلُومَنَّ إلا نَفْسَهُ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٥٧٧)، وشرحه ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» ٢/ ٣٢.

قوله: «إني حرَّمْتُ الظُّلْمَ على نفسي» معناه: أنه منع نفسه من الظلم لعباده، كما قال: ﴿وما أنا بِظَلاَّمٍ للعَبيد﴾ [ق: ٢٩] وقال: ﴿وما الله يريد ظلماً للعبادِ﴾ [غافر: ٣١] وقال: ﴿إنَّ اللهُ لا يَظْلِمُ مثقالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠] قال ابن رجب: وهو مما يدل على أنَّ الله قادر على الظلم ولكن لا يفعله فضلاً منه وجوداً وكرماً وإحساناً إلى عباده.

قال الحافظ ابن رجب: قد ظن بعضهم أنه معارض لحديث عياض عن النبي ﷺ: «يقول الله عز وجل: خلقت عبادي حنفاء» وفي رواية «مسلمين، فاجتالتهم الشياطين» وليس كذلك فإن الله خلق بني آدم، وفطرهم على قبول الإسلام، والميل إليه دون غيره، والتهيؤ لذلك والاستعداد له بالقوة، لكن لا بد للعبد من تعليم الإسلام بالفعل فإنه قبل التعليم جاهل لا يعلم شَيئاً كما قال عز وجل: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾ [النحل: ٧٨] وقال لنبيه ﷺ: ﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾ [الضحى: ٧] والمراد: وجدك غير عالم بما علمك من الكتاب والحكمة كما قال تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾ [الشورى: ٥٢].

وأما سؤال المؤمن من الله الهدايةَ، فإن الهداية نوعان: هداية مجملة وهي الهداية للإسلام والإيمان وهي حاصلة للمؤمن، وهداية مفصلة وهي هدايته إلى معرفة تفاصيل أجزاء الإيمان والإسلام، وإعانته على فعل ذلك، وهذا يحتاج إليه كل مؤمن ليلاً ونهاراً، ولهذا أمر الله عباده أن يقرؤوا في كل ركعة من صلاتهم قوله: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ وكان النبي ﷺ يقول في دعائه بالليل: «اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

١٢٥٢- عَنْ أَبي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْوِيْهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وتَعالَى قَالَ: «قَالَ: ابْنَ آدَمَ! إنَّكَ ما دَعَوْتَنِي، وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ على مَا كَانَ فِيْكَ، ابْنَ آدَمَ! إنَّك إن تَلْقَنِي بِقِرابِ الأَرْضِ خَطَايا لَقِيْتُكَ بِقِرابِها مَغْفِرَةً بَعْد أَنْ لا تُشْرِكَ بِي شَيْئاً، ابنَ آدَمَ! إنَّكَ إنْ تُذْنِبْ حَتَّى يَبْلُغَ ذَنْبُكَ عَنَان السَّماءِ، ثُمَّ تَسْتَغْفِرْني أَغْفِرْ لَكَ».

أخرجه أحمد (٢١٣٦٨)، والدارمي ٢/ ٣٢٢ وفي إسناده شَهْرُ بن حَوْشب فيه كلام، وباقي رجاله ثقات. وأخرجه الترمذي (٣٥٤٠) من حديث أنس بن

مالك وحَسَّنه. وقال الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» ٢/ ٤٠٠: إسناده لا بأس به.

قوله: «قِراب» بكسر القاف: مصدر قارب الأمر: إذا داناه، ويقال: لو أن لي قراب هذا ذهباً، أي: ما يقارب ملأه، ولو جاء بقراب الأرض بالكسر أيضاً ما يقارب بها.

قوله: «عنان السماء» قيل: هو ما عَنَّ لك منها، ويقال: أراد به السحاب والواحدة: عَنَانَةٌ، ويروى: «أَعنان السماء» أي: نواحيها.

وقد أطال الحافظ ابنُ رجب النَّفَسَ في شَرْح هذا الحديث في كتابه النفيس «جامع العلوم والحكم» ٢/ ٤٠٠-٤١٨ فذكر أَنَّ لحصولِ المَغْفِرَةِ أَسباباً ثلاثةً هي:

* الدعاءُ مع الرجاء، فإنَّ الدعاءَ مأمورٌ به وموعودٌ عليه بالإجابة كما قال تعالى: ﴿ادعوني استَجِب لكم﴾ [غافر: ٦٠] لكنَّ الدعاءَ سببٌ مُقْتَضٍ للإجابةِ مع استكمال شرائطه، وانتفاءِ موانعه، وقد تتخلَّف إجابتُه لانتفاءِ بعضِ شروطه، أو وجودِ بَعْضِ موانعه.

* الاستغفار، ولو عَظُمَتِ الذنوبُ، وبلغتِ الكَثْرَةُ عَنَان السماءِ. والاستغفار: طَلَبُ المغفرة: وهي: وقايةُ شَرِّ الذنوب مع سَتْرِها. وأَفْضَلُ أَنواعه: أَن يبدأَ العَبْدُ بالثناءِ على رَبِّه، ثم يُثَنِّي بالاعتراف بذنْبه، ثم يسألُ اللهَ المَغْفِرَةَ كما في حديث شَدَّاد بن أوس، عن النبيِّ ﷺ قال: «سَيِّد الاستغفار أَنْ يقولَ العَبْدُ: اللهمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلٰهَ إلّا أَنْتَ، خلقتني وأَنا عَبْدُك، وأَنا على عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ ما استَطَعْتُ، أَعوذُ بك من شَرِّ ما صَنَعْتُ، أَبوءُ لك بنعمتك عليَّ، وأَبوءُ بذنبي، فاغفِر لي، فإنَّه لا يَغْفِرُ الذنوبَ إلّا أَنْتَ» أخرجه البخاري (٦٣٠٦) والنسائي ٨/ ٢٧٩ وغيرهما.

* السبب الثالث من أسباب المغفرة: التوحيد، وهو السَّبَبُ الأَعظم، فَمَنْ فَقَدَهُ، فقد المغفرة، ومَنْ جَاءَ به، فقد أَتى بأَعظمِ أَسباب المغفرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الله لا يغفر أَن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء:٤٨] فمن جاء مع التوحيد بقِراب الأَرض خطايا لَقِيَه الله بقِرابِها مغفرة، لكن هذا مع مشيئة الله عزَّ وجَلَّ، فإن شَاءَ غَفَرَ له، وإِنْ شاءَ أَخذه بذنوبه.

١٢٥٣- عَنْ أَبي سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وعِزَّتِكَ يا رَبِّ لا أَبْرَحُ أُغْوي عِبادَكَ ما دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ في أَجْسَادِهِمْ، فَقَالَ الرَّبُّ عَزَّ وجَلَّ: وعِزَّتِي وجَلاَلي، وارْتِفَاعِ مَكاني، لا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي».

أخرجه أحمد (١١٢٣٧) دون قوله: «وارتفاع مكاني» من طريق ابن لهيعة، عن درَّاج، وكلاهما ضعيف. وأخرجه الحاكم ٤/٢٦١ من طريق درَّاج عن أَبي الهيثم وليست فيه هذه الزيادة. وأخرجه أحمد (١١٢٤٤) من طريقٍ أُخرى عن أَبي سعيد الخدري دون هذه الزيادة أيضاً، فيتقوى بهذا الطريق.

١٢٥٤- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِه لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، ولَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرونَ الله، فَيَغْفِرُ لَهُمْ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٧٤٩).

قال الشوكاني: وفي الحديث دليل على كثرةِ وقوعِ الذنوبِ من بني آدم، وأن مَنْ حاولَ أن لا يَقَعَ منه ذنبٌ البتة، فقد حاول ما لا يكونُ، لأن هٰذا -أعني وقوعَ الذنب من النوع الإنساني- هو الذي جُبِلُوا عليه، وقد خلقهم اللهُ تعالى، وأمرهم بالخيرِ، والكفِّ عن الشر، ولكن ما في جِبِلَّتِهِمْ يأبى أن لا

يَقَعَ منهم ذنب، لأن العصمة لا تكونُ إلّا لمن أُعطِيَ النبوةَ من بني آدم، فلو أرادوا أَنْ لا يُذْنِبُوا أصلاً رامُوا ما ليس لهم.

١٢٥٥- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «والَّذي نَفْسي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّكُمْ لا تُذْنِبُونَ فَتَسْتَغْفِرُونَ اللهَ، فَيَغْفِرُ لَكُمْ، لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، ثُمَّ جَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ، ولَوْ تُخْطِئُونَ حَتَّى تَبْلُغَ خَطَاياكُمْ السَّماءَ، ثُمَّ تَتُوبُونَ، لَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ».

إسناده صحيح، وأخرجه بنحوه أحمد (١٣٤٩٣)، وأبو يعلى (٤٢٢٦) من حديث أنس، وفي إسناده أَخْشَن السدوسي لم يوثقه غير ابن حِبَّان. قال الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ٢١٥: ورجاله ثقات!، وأخرج ابن ماجه (٤٢٤٨) القسم الأخير منه، وقال الشوكاني في «تحفة الذاكرين» ٢٥٣: وينبغي حمل الخطأ هنا على خلاف الصواب، لا على خلاف العمد، فإنه مغفور.

١٢٥٦- عن محمد بن عبد الله بن عبَّاس، عن أبيه، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ، جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً، ومِنْ كُلِّ ضِيْقٍ مَخْرَجاً، ورَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ».

أخرجه أحمد (٢٢٣٤)، وأبو داود (١٥١٨)، وابن ماجه (٣٨١٩) وفي سنده الحكم بن مصعب المخزومي وهو مجهول. وانظر تمام تخريجه في «المسند».

١٢٥٧- عَنْ أَبي نُصَيْرَةَ قَالَ: لَقِيْتُ مَوْلىً لأَبي بَكْرٍ، فَقُلْتُ لَهُ: أَسَمِعْتَ مِنْ أَبي بَكْرٍ شَيْئاً؟ قَالَ: نَعَمْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا أَصَرَّ مَن اسْتَغْفَرَ وإنْ عَادَ في اليَوْمِ سَبْعِيْنَ مَرَّةً».

أخرجه أبو داود (١٥١٤)، والترمذي (٣٥٥٩) وقال: هذا حديث غريب إنما يُعرَفُ من حديث أبي نُصَيْرَة وليس إسناده بالقوي.

باب

التــوبــة

قَـالَ الله سُبْحَـانَـهُ وتَعَـالـى: ﴿تُـوبُـوا إلـى اللهِ تَـوْبَـةً نَصُـوحـاً﴾ [التحريم:٨]، قَالَ مُجاهِدٌ: النَّصُوحُ: أَنْ يَتُوبَ مِنَ الذَّنْبِ فَلا يَعُودَ إليهِ، قِيْلَ: تَوْبَةٌ نَصُوحٌ، أَي: صَادِقَةٌ، يُقَالُ: نَصَحْتُه، أي: صَدَقْتُهُ، وقِيْلَ: نَصُوحٌ، أَي: بالِغَةٌ في النُّصْحِ، مَأخُوذٌ مِنَ النَّصْحِ وهُوَ الخِياطَةُ، كَأَنَّ العِصْيَانَ يُخَرِّقُ، والتَّوْبَةُ تُرَقِّعُ، والنِّصَاحُ: الخَيْطُ، وقِيْلَ: نَصُوحاً، أَي: خَالِصَةً، يُقَالُ: نَصَحَ الشَّيْءُ، إذا خَلَصَ، ونَصَحَ لَهُ: أَخْلَصَ لَهُ القَوْلَ، وقَالَ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وتُوبُوا إلى اللهِ جَمِيْعاً﴾ [النور:٣١].

وقال الشَّعْبِيُّ: التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لا ذَنْبَ لَهُ، ثُمَّ تلا: ﴿إنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِيْنَ ويُحِبُّ المُتَطَهِّرِين﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وأخرجه ابن ماجه (٤٢٥٠) من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعاً وحسَّنه الحافظ ابن حجر لشواهده.

١٢٥٨- عَنْ أَبي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَدَا اللهِ بُسْطَانِ لِمُسِيءِ اللَّيْلِ لِيَتُوبَ بالنَّهارِ، ولِمُسِيءِ النَّهَارِ لِيَتُوبَ باللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٧٥٩).

قوله: «يدا الله بُسْطانِ» كقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٧] قال الأزهري: يقال: يدُ فلانٍ بُسُطٌ بضمتين: إذا كان منفاقاً مُنْبَسِطُ الباع، ومثله في الصفات: روضةٌ أُنفٌ، ثم يُخفف، فيُقال: بُسْط، كعُنْقٍ وأُذْنٍ.

١٢٥٩- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٧٠٣). وطلوعُ الشمس من مَغْرِبها: حدٌّ جعله الله تعالى للتوبة: وهو أَحدُ وجوه التفسير لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يأتي بَعْضُ آياتِ ربِّك لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانها﴾ [الأنعام: ١٥٨]. وقد دلَّ الحديث على سَعَةِ رحمة الله تعالى ورأفته بخَلْقِه، إذ فتح لهم بابَ التوبة إلى هٰذه المدَّة المتطاولة، وإلى ما قَبْلَ الغرغرةِ في زمنِ الواحد منهم.

١٢٦٠- عن همَّام بن منبِّه، قال: حَدَّثَنا أَبو هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِرَاحِلَتِهِ إذا ضَلَّتْ مِنْهُ ثُمَّ وَجَدَهَا؟» قَالُوا: نَعَمْ يا رَسُولَ الله، قَالَ: «والَّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِه للهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ إذا تَابَ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ إذا وَجَدَها».

أخرجه مسلم (٢٦٧٥).

١٢٦١- عَنِ الحَارِثِ بنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلى عَبْدِ اللهِ أَعُودُهُ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «للهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ -أَظُنُّهُ قَالَ: بِدَوِّيَّةٍ مُهْلِكَةٍ - مَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْها طَعَامُهُ وشَرَابُهُ، فَنَزَلَ، فَنَامَ، فاسْتَيْقَظَ، وقَدْ هَلَكَتْ رَاحِلَتُهُ، فَطَافَ عَلَيْهَا حَتَّى أَدْرَكَه العَطَشُ، قَالَ: أَرْجِعُ إلى حَيْثُ كانَتْ رَاحِلَتي، فَأَمُوتُ عَلَيْهِ، فَرَجَعَ فَأَغْفَى، فَاسْتَيْقَظَ، فَإِذا هُوَ بِها عِنْدَهُ عَلَيْها طَعَامُهُ وشَرَابُهُ».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٤).

الدَّوِّيَّةُ والدَّاوِيَّةُ: اسم للمفازة الملساء التي يُسمَعُ فيها الدَّوِيُّ وهو الصوتُ.

١٢٦٢- عَنِ الحَارِثِ بنِ سُوَيْدٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللهِ أَعُودُهُ وهُوَ مَرِيضٌ، فَحَدَّثَنا بِحَدِيْثَيْنِ، حَدِيْثٌ عَنْ نَفْسِهِ، وحَدِيْثٌ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: «إنَّ المُؤمِنُ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ في أَصْلِ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ، وإنَّ الفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ مِثْلَ ذُبَابٍ مَرّ على أَنْفِهِ، فَذَبَّهُ عَنْهُ» قَالَ: وسَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «لله أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ المُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ في دَوِّيَّةٍ مُهْلِكَةٍ مَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وشَرَابُهُ، فَنَامَ، فَاسْتَيْقَظَ وقَدْ ذَهَبَتْ، فَقَامَ يَطْلُبُها حَتَّى أَدْرَكَهُ العَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إلى المَكَانِ الَّذي كُنْتُ فيه حَتَّى أَمُوتَ، قال: فوضع يَدَهُ على سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَنَامَ، فاسْتَيْقَظَ وعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ عليْها زَادُهُ وطَعَامُهُ وشَرَابُهُ، فَاللهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ هٰذَا بِرَاحِلَتِهِ وزَادِهِ».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٢٧٤٧).

١٢٦٣- عن إسحاق بن أبي طلحة، حَدَّثني أَنَسُ بنُ مَالِكٍ ـ وهُوَ عَمُّهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «للهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِيْنَ يَتُوبُ إليهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كانت رَاحِلَتُهُ بأَرْضٍ فَلاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وعَلَيْهَا طَعَامُهُ وشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْها، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ في ظِلِّها قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِه، فَبَيْنما هُوَ كَذٰلِكَ إذا هُوَ بِها قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِها، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدي، وأَنا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٧٤٧).

قال أبو سليمان الخطابي: قوله: «اللهُ أَفْرَحُ»: أَرَضى بالتوبةِ وأقبلُ لها، والفَرَحُ الذي يتعارَفُهُ الناسُ في نُعُوتِ بني آدمَ غيرُ جائزٍ على اللهِ عَزَّ وجَلَّ، إنما معناهُ الرضا، كقوله عَزَّ وجَلَّ: ﴿كلُّ حِزْبٍ بما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٤] أي: راضُونَ، وكذلك فُسِّرَ الضحكُ الواردُ في الحديث في صفات الله سبحانه وتعالى بالرضا، وكذلك الاستبشارُ قد جاء في الحديث، ومعناه عندهم: الرضا.

والمتقدِّمُون من أهل الحديث فَهِموا من هذه الأحاديث ما وقع الترغيبُ فيه من الأعمال والإخبار عن فضل الله عَزَّ وجَلَّ، وأثبتوا هذه الصفاتِ لله عَزَّ وجَلَّ، ولم يشتغِلُوا بتفسيرها مع اعتقادهم أن الله سبحانه وتعالى مُنَزَّهٌ عن صفات المخلوقين ﴿ليسَ كَمِثْلِهِ شيءٌ وهُوَ السَّمِيْعُ البَصِيْرُ﴾ [الشورى: ١١].

١٢٦٤- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ المُؤْمِنَ إذا أَذْنَبَ، كانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ في قَلْبِه، فَإنْ تَابَ ونَزَعَ واسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ مِنْها، وإنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، فَذٰلِكُمُ الرَّانُ الَّذي ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ في كِتَابِهِ: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ على قُلُوبِهِمْ مَا كانُوا يَكْسِبُون﴾ [المطففين: ١٤].

أخرجه أحمد (٧٩٥٢)، وابن ماجه (٤٢٤٤)، والترمذي (٣٣٣٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وهو كما قال، وقد ذهب ابن العربي في «عارضة الأحوذي» ١٢/ ٢٣٤ إلى أَنَّ الران -ويقال: الرَّيْن- جَهْلٌ يقومُ بالقَلْبِ يحولُ بين المَرْءِ وبين معرفة الحقِّ. وقال الفرَّاء في «معاني القرآن» ٣/ ٢٤٦: كَثُرَتْ المعاصي والذنوبُ منهم، فأحاطت بقلوبهم، فذلك الرَّيْنُ عليها.

١٢٦٥- عَنْ زِرِّ بنِ حُبَيْشٍ قَالَ: أَتَيْتُ صَفْوانَ بنَ عَسَّالٍ المُرَادِيَّ، فَذَكَرَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ: «إنَّ الله عَزَّ وجَلَّ جَعَلَ بالمَغْرِبِ باباً مسِيْرَةُ عَرْضِهِ سَبْعُونَ عَاماً لِلتَّوْبَةِ، لا يُغْلَقُ مَا لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ مِنْ قِبَلِهِ، وذٰلِكَ قَولُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿يَوْمَ يَأتي بَعْضُ آياتِ رَبِّك لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

أخرجه أحمد (١٨٠٩٣)، والترمذي (٣٥٣٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح وهو كما قال.

١٢٦٦- عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ».

هذا حديث حسن، أخرجه أحمد (٦١٦٠)، والترمذي (٣٥٣١)، وابن ماجه (٤٢٥٣).

قولُه: «ما لم يُغَرْغِر» أي: ما لم تَبْلُغْ روحُه حلقومَه، فتكون بمنزلةِ الشيء يُتَغَرْغَرُ به. والمقصودُ: ما لم يُعاين أحوالَ الآخرة.

١٢٦٧- عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «النَّدَمُ تَوْبَةٌ».

أَخرجه أحمد ٦/ ٣٧ (٣٥٦٨)، وابن ماجه (٤٢٥٢)، وأبو يعلى (٤٩٦٩)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» ٢/ ١٩٩ بإسنادٍ صحيح، وانظر تمام تخريجه في «المسند».

وقال السندي في «حاشية سنن ابن ماجه» ٢/ ٥٦٣: قوله: «النَّدَمُ» أي: على المعصية أي: لكونها معصيةً، وإلّا فإذا نَدِمَ عليها مِن جهةٍ أُخرى كما إذا نَدِمَ على شُرْبِ الخَمْرِ من جهةِ صَرْفِ المالِ عليه، فليس من التوبة في شيء.

وقوله: «تَوْبَة» معناه أَنَّ النّدم مُعْظَمُ التوبة ومُسْتَلْزِمٌ لبقيّة شرائطها، فإنَّ النّادم ينقلع من الذنبِ في الحال عادةً، ويعزمُ على عَدمِ العَوْدِ في الاستقبال وبهذا القَدْرِ تتم التوبة، إلّا في الفرائض التي يجبُ قضاؤها، وإلّا في حُقوقِ العباد، فتحتاج التوبةُ فيها إلى الاستحلال. والندمُ يعني على ذلك كلِّه.

وروي عن عبد الله بن مسعودٍ موقوفاً، قال: النَّدَمُ توبةٌ، والتائب كمن لا ذنْبَ له.

ورُوي عن أنسٍ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ بني آدمَ خَطَّاءٌ، وخيرُ الخَطَّائينَ التَّوَّابونَ».

أخرجه أحمد (١٣٠٤٩)، والترمذي (٢٥٠١)، وابن ماجه (٤٢٥١). وإسناده حسن.

قوله: «خَطَّاء» بالتشديد أي: كثير الخطأ. والمراد بالخطأ: المعصيةُ عَمْداً، أَو مُطْلقاً بناءً علىأَنَّه الخطأُ المُقابِلُ للصوابِ دون العَمْدِ.

وقوله: «التوابون» أي: دون المُصِرِّين لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الله يُحِبُّ التوابين﴾ [البقرة: ٢٢٢] فإنَّ الإصرارَ على الصغيرة يجعلها كبيرةً، فكيف على الكبيرة؟!.

باب

أفضل الاستغفار

١٢٦٨- عن شَدَّادِ بنِ أَوْسٍ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وأَنا عَبْدُكَ، وأَنا على عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لي، فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا

أَنْتَ» قَالَ: «ومَنْ قَالَها مِنَ النَّهَارِ مُوقِناً بها، فَماتَ مِنْ يَومِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، ومنْ قَالَها مِنَ اللَّيْلِ، وهُوَ مُوقِنٌ بِها، فَماتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ».

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٦٣٠٦)، وابن حبان (٩٣٢) وغيرهما.

قوله: «أنا على عَهْدِكَ وَوعدكَ» يُريدُ على ما عاهدتُك عليه، وواعَدْتُكَ من الإيمانِ بِكَ، وإخلاصِ الطَّاعَةِ لكَ، وقد يكون معناه: إني مُقيمٌ على ما عَهِدْتَ إليَّ من أمركَ، ومُتَمَسِّكٌ به، ومُتَنَجِّزٌ وعدكَ في المثُوبة والأجْرِ عليه، واشتراطُ الاستطاعةِ في ذلك معناه: الاعترافُ بالعجز والقُصور عن كُنْهِ الواجبِ من حَقِّه عَزَّ وجَلَّ.

قوله: «أبوءُ بنعمتك» معناه: الاعترافُ بالنعمة، وكذلك قوله: «أَبُوءُ بذنبي» معناه: الإقرارُ به، وفيه معنى ليس في الأوَّلِ، تقولُ العَربُ: باءَ فُلانٌ بذنبه: إذا احتمله كُرهاً لا يستطيعُ دفعه، وأصلُ البواءِ: اللُّزُومُ، معناهُ: أُقِرَّ به وأُلْزِمُ نفسي، يُقال: أباءَ الإمامُ فلاناً بفُلانٍ: إذا أَلْزَمَهُ دَمَهُ وقَتَلَهُ به، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿فباؤوا بغَضبٍ﴾ [البقرة: ٦١] أي: لَزِمَهُمْ ورَجعُوا به.

قوله: «مُوْقِناً بها» أي: مُخْلِصاً من قَلْبه مُصَدِّقاً بثوابِها.

١٢٦٩- عن ابن بُرَيْدة، عَنْ أَبيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ حِيْنَ يُصْبِحُ أَوْ حِيْنَ يُمْسِي: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لا إِلٰهَ إلّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي، وأَنا عَبْدُكَ، وأنا عَلى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما صَنَعْتُ، أَبُوءُ بِنِعْمَتِكَ، وأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لي، فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أَنْتَ، فَماتَ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ لَيْلَتِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ».

أخرجه أبو داود (٥٠٧٠)، وابن ماجه (٣٨٧٢) بإسنادٍ صحيح.

قوله: «دخل الجنة» أي: دخولاً أَوَّلِيّاً إنْ ماتَ على الإيمان، أو هو بشارةٌ بحسن الخاتمة.

باب

ما يقول إذا أخذ مضجعه

١٢٧٠- عَنِ البَرَاءِ بنِ عازِبٍ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كانَ إذا أَخَذَ مَضْجَعَهُ، وَضَعَ كَفَّهُ اليُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ الأَيْمَنِ، وقَالَ: «رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ».

هذا حديث صحيح، أخرجه أحمد (١٨٥٥٢)، والترمذي (٣٣٩٩).

١٢٧١- عَنْ رِبْعِيٍّ بنِ حِرَاشٍ، أَنَّ حُذَيْفَةَ بنَ اليَمان قَالَ: كانَ رَسُولُ الله ﷺ إذا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ، وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ باسْمِكَ أَحْيا، وباسْمِكَ أَمُوتُ» فَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وإليهِ النُّشُورُ».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٦٣١٤)، ومسلم (٢٧١١).

قوله: «اللهم باسمك أحيا، وباسمك أموت» أي: بذِكْرِ اسمك أَحيا ما حَيِيت وعليه أَموتُ.

والنشور: البَعْثُ يوم القيامة.

١٢٧٢- عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إذا أَوَى إلى فِرَاشِهِ قَالَ: «اللَّهُمَّ باسْمِكَ أَحْيَا وأَمُوتُ»، وإذا استَيْقَظَ قَالَ: «الحَمْدُ للهِ الَّذي أَحْيَانَا بَعْدَ ما أَمَاتَنَا، وإليهِ النُّشُورُ».

انظر ما قبله.

١٢٧٣- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إذا أَوَى أَحَدُكُمْ إلى فِرَاشِهِ، فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إزَارِهِ، فَإنَّهُ لا يَدْرِي ما خَلَفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: باسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي وبِكَ أَرْفَعُهُ، إنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْها، وإنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِما تَحْفَظُ بِهِ الصَّالِحِيْنَ».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٦٣٢٠)، ومسلم (٢٧١٤).

قال أبو عُبَيد: في غير هذا الحديث: داخلةُ الإزار: طرفُه الذي يلي جسدَ المُؤْتَزِرِ، يعني في حديثِ الذي أُصِيبَ بالعَيْن. وأَمَّا في هذا الحديث فداخلةُ الإزارِ: طَرَفُهُ.

قوله: «ما خَلَفَهُ» يُريدُ: لعلَّ هامَّةً دبَّتْ، فصارت فيه بَعْدَهُ.

١٢٧٤- عن سعد بن عُبيدة قال: حَدَّثَنِي البَرَاءُ بنُ عَازِبٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إذا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ للصَّلاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلى شِقِّكَ الأَيْمَنِ وقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إلَيْكَ، وفَوَّضْتُ أَمْرِي إلَيْكَ، وأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إلَيْكَ، رَهْبَةً ورَغْبَةً إلَيْكَ، لا مَلْجَأَ ولا مَنْجَا إلا إلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتابِكَ الَّذِي أَنْزَلتَ، ونَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإنْ مُتَّ مُتَّ عَلى الفِطْرَةِ، واجْعَلْهُنَّ آخِرَ ما تَقُولُ»، قُلْتُ أَسْتَذْكِرُهُنَّ: «وبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»؟ قَالَ: لا «ونَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ».

هذا حديثٌ متفق على صحته، أخرجه البخاري (٦٣١١)، ومسلم (٢٧١٠).

قوله: «إذا أتيت مَضْجَعَكَ» أي: أردتَ أن تأتيَ، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿فإذا قَرأتَ القُرآنَ فاستَعِذْ﴾ [النحل: ٩٨] أي: إذا أردت أن تقرأ.

وقول البَراء: «ورسولَك الذي أرسلتَ» وتلقينُ النبي ﷺ إياه: «ونَبِيّكَ» حُجَّةٌ لمن يرى متابعةَ اللفظ في الرواية.

قوله: «فتوضّأ وضوءَك للصلاة»: الأَمْرُ فيه للنَّدْب. وله فوائد: منها أَن يبيتَ على طهارة لئلاّ يَبْغَتَه الموتُ فيكون على هيئةٍ كاملة، ويؤخَذُ منه النَّدْبُ إلى الاستعداد للموتِ بطهارة القلب لأنه أَوْلى من طهارة البدن.

١٢٧٥- عَنِ البَرَاءِ بنِ عازِبٍ قَالَ: كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إذا أَوى إلى فِرَاشِهِ نامَ على شِقِّهِ الأيْمَنِ، ثُمَّ قال: «اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إليْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إلَيْكَ، وفَوَّضْتُ أَمْرِي إلَيْكَ، وأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إلَيْكَ، رَغْبَةً ورَهْبَةً إلَيْكَ، لا مَلْجَأَ ولا مَنْجَا مِنْكَ إلَّا إليْكَ، آمَنْتُ بِكِتابِكَ الَّذِي أَنْزَلتَ، ونَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»، وقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَالَهُنَّ ثُمَّ مَاتَ تَحْتَ لَيْلَتِهِ، مَاتَ على الفِطْرَةِ».

هذا حديث متفق على صحته، أَخرجه البخاري (٦٣١٥)، ومسلم (٢٧١٠).

قولُه: «رَغبة ورَهبةً إليكَ» يُريدُ: رغبةً إليكَ، ورَهْبَةً مِنْكَ، ولكن لما جمعهُما في النَّظْم، حَمَل أحدهما على الآخر، ومثلُهُ كثيرٌ في كلامِ العربِ، قال الشاعرُ:

إذا مـا الغَـانِيـاتُ بَـرَزْنَ يَـوْمـاً وزجَّجْـنَ الحَـواجِـبَ والعُيـونَـا

والعُيونُ لا تُزَجَّج، إنَّما تُكَحَّلُ، فلما جمع بينهما في النَّظم، حمل أحدهما على الآخَرِ في اللفظ.

١٢٧٦- عن أبي إسحاق قال: سَمِعْتُ البَرَاءَ بنَ عَازِبٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُ رَجُلاً إذا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إليْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إليْكَ، وفَوَّضْتُ

أَمْرِي إِلَيْكَ، وأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَهْبَةً ورَغْبَةً إِلَيْكَ، لا مَنْجَا ولا مَلْجَأَ مِنْكَ إلا إليْكَ، آمَنْتُ بِكِتابِكَ الَّذِي أَنْزَلتَ، وبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ ماتَ من لَيْلَتِهِ، مَاتَ عَلى الفِطْرَةِ، وإِنْ أَصْبَحَ أَصْبَحَ وقَدْ أَصَابَ خَيْراً».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٦٣١٣) عن آدم، عن شُعْبة عن أبي إسحاق، ولم يذكر: «وإن أصبح أصابَ خيراً» وقال: «ونَبِيِّكَ الذي أرسلتَ» وأخرجه مسلم (٢٧١٠)، أخبرنا يحيى بن يحيى، أخبرنا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن البَراء قال: قال رسول الله ﷺ لرجل: «يا فلانُ إذا أَوَيْتَ إلى فِرَاشِكَ» بهذا، وقال: «فإن مُتَّ من ليلَتِكَ مُتَّ على الفِطْرة، وإن أصْبَحْتَ أصَبْتَ خَيراً».

وأراد بالفِطْرة: دينَ الإسلام، وقد تَرِدُ الفِطرة بمعنى السُّنَّة، كما جاء في الحديث: «عَشْرٌ من الفِطْرة»، فذكر منها: «الاستنشاق» أخرجه مسلم (٢٦١).

ونقل الحافظ في «الفتح» ١١/ ١١٤ عن العلاّمة الطيبي قَوْلَه: في نَظْمِ هذا الذِكْرِ عجائبُ لا يعرِفُها إلاّ المُتْقِنُ من أَهْلِ البيان. فقد أَشار بقوله: «أَسْلَمْتُ نفسي» إلى أَنَّ جوارِحَه مُنْقادَةٌ لله تعالى في أَوامِرِهِ ونواهيه. وبقوله: «وَجَّهْتُ وَجْهي» إلى أَنَّ ذاتَه مُخْلِصَةٌ له بريئةٌ من النفاق. وبقوله: «فوَّضْتُ أَمري» إلى أَنَّ أُمُورَهُ الخارجةَ والداخلةَ مُفَوَّضةٌ إليه لا مُدَبِّر لها غيره. وبقوله: «أَلجأتُ ظهري» إلى أَنَّه بعد التفويض يلتجىءُ إليه ممَّا يضرُّه ويُؤذيه من الأَسباب كلِّها.

١٢٧٧- عَنْ أَنس قَالَ: كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إذا أَوى إلى فِرَاشِهِ قَالَ: «الحَمْدُ للهِ الَّذي أَطْعَمَنَا، وسَقَانَا، وكَفَانَا، وآوَانَا، وكَمْ مِمَّن لا كافيَ لَهُ ولا مُؤْوِيَ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٧١٥). قال الأُبيُّ في «شرح مسلم» ٩/ ١٢١: يحتملُ أَن يكونَ المعنى: وكم من أَهْلِ الجَهْلِ والكُفْرِ لا يَعْرِفُ أَن له إلٰهاً يُطعمه ويَسْقيه ويُؤويه.

١٢٧٨- عن ابن بُريدة: حَدَّثَنِي ابنُ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كانَ يَقُولُ إذا تَبَوَّأَ مَضْجَعَهُ: «الحَمْدُ للهِ الَّذي كَفَاني وآوَانِي، وأَطْعَمَنِي، وسَقَاني، ومَنَّ عَلَيَّ فَأَفْضَلَ، وأَعْطَاني فَأَجْزَلَ، الحَمدُ للهِ عَلى كُلِّ حَالٍ، اللَّهُمَّ رَبَّ كُلِّ شَيءٍ، ومَلِكَ كُلِّ شَيءٍ، وإلٰهَ كُلِّ شَيءٍ، ولَكَ كُلُّ شَيْءٍ، أعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ».

أَخرجه أَبو داود (٥٠٥٨) بإسنادٍ صحيح.

١٢٧٩- عَنْ أَبي سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ حِيْنَ يَأوِي إلى فِرَاشِهِ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذي لا إلٰهَ إلا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، غُفِرَ لَهُ ذُنُوبُهُ وإنْ كانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ، أَوْ عَدَدَ رَمْلِ عَالِجٍ، أَوْ عَدَدَ وَرَقِ الشَّجَرِ، أَو عَدَدَ أَيَّامِ الدُّنْيا».

أخرجه الترمذي (٣٣٩٤) بإسنادٍ ضعيف لضعف عطية العوفي. و«رَمْلُ عالج» جبالٌ مُتَّصِلَةٌ يَتَّصِل أَعلاها بالدَّهناءِ، والدَّهْناءُ بقُرْبِ اليمامة، وأَسْفَلُها بنَجْد ويتَّسع اتساعاً كثيراً حتى قال البكري: رَمْلُ عالج يُحيط بأكثر أَرض العرب.

١٢٨٠- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَتْ فَاطِمَةُ إلى النَّبِيِّ ﷺ تَسْأَلُهُ خَادِماً، فَقَالَ ﷺ: «أَلا أَدُلُّكِ عَلى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ خَادِمٍ؟ تُسَبِّحِيْنَ اللهَ ثَلاثاً وثَلاثِيْنَ، وتَحْمَدِيْنَ اللهَ ثَلاثاً وثَلاثِيْنَ، وتُكَبِّرِيْنَ اللهَ أَرْبَعاً وثَلاثِيْنَ عِنْدَ كُلِّ صَلاةٍ، وعِنْدَ مَنَامِكِ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٧٢٨)، عن أميَّة بن بِسْطامٍ، ولم يذكرِ الصلاةَ.

١٢٨١- عن ابن أبي ليلى، أخبرنا عَلِيٌّ: أَنَّ فَاطِمَةَ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ تَشْكُو إليهِ مَا تَلْقَى في يَدِهَا مِنَ الرَّحَى، وبَلَغَهَا أَنَّهُ جَاءَهُ رَقِيْقٌ، فَلَمْ تُصَادِفْهُ، فَذَكَرَتْ ذٰلِكَ لِعَائِشَةَ، فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ، قَالَ: فجَاءَنَا وقَدْ أَخَذْنا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا نَقُومُ، فَقَالَ: «عَلى مَكانِكُما» فَجَاءَ، فَقَعَدَ بَيْني وبَيْنَها حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى بَطْنِي، فَقَالَ: «أَلا أَدُلُّكُمَا عَلى خَيْرٍ ممَّا سَأَلْتُمَا؟ إذا أَخَذْتُما مَضَاجِعَكُما ـ أَوْ أَوَيْتُمَا إلى فِرَاشِكُمَا ـ فَسَبِّحَا ثَلاثاً وثَلاثِيْنَ، واحْمَدا ثَلاثاً وثَلاثِيْنَ، وكَبِّرا أَرْبَعاً وثَلاثِيْنَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُما مِنْ خَادِمٍ».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٦٣١٨)، ومسلم (٢٧٢٧).

قوله: «تشكو ما تَلْقى من يَدِها من الرَّحى» وقَعَ تفسيره عند أحمد (٨٣٨) «قالت: أنا والله قد طَحَنْتُ حتى مَجَلَتْ يداي» قال أبو عبيد في «غريب الحديث» ٢/٢٢٩: المَجْلُ: أَثَرُ العَمَلِ في الكَفِّ يُعالجُ بها الإنسانُ الشيءَ حتى يغلظَ جِلْدُها.

وفي الحديث من الفِقْهِ والعِلْمِ: أَنَّ النبيَّ ﷺ علَّم ابنَتَه من الذكْرِ ما هو أكثر نَفْعاً لها في الآخرة.

وفيه: ما كان عليه السلفُ الصالحُ من شَظَفِ العَيْشِ وقلَّةِ الشيءِ وشدَّةِ الحال وأَنَّ الله حماهم الدنيا مع إمكانِ ذلك، صيانةً لهم من تَبِعاتِها، وتلك سُنَّةُ أكثر الأنبياء والأولياء.

واستنبط منه القاضي إسماعيل من المالكية: أَنَّ للإمام أن يَقْسِم الخُمُسَ حيث رأى، لأَنَّ السَّبْيَ لا يكون إلّا من الخمس. وهو قَوْل مالِكٍ وجماعة.

وفيه من الفِقْه: جوازُ حَمْلِ الإنسان على ما يحملُ عليه نَفْسَه من إيثارِ الآخرة على الدنيا إذا كانت له قدرةٌ على ذلك.

وفيه: جوازُ دخول الرجل على ابنتِه وزَوْجِها من غير استئذان.

باب

ما يقول حين يصبح

١٢٨٢- عن مسلم بن زياد القُرَشِيِّ، قال: سَمِعْتُ أَنَسَ بنَ مالِكٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ قَالَ حِيْنَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ إنَّا أَصْبَحْنَا نُشْهِدُكَ، ونُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ ومَلَائِكَتَكَ، وجَمِيْعَ خَلْقِكَ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لا إلٰهَ إلّا أَنْتَ وَحْدَكَ لا شَرِيْكَ لَكَ، وأَنَّ مُحمَّداً عَبْدُكَ ورَسُولُكَ، غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا أَصَابَ في يَوْمِهِ ذٰلِكَ مِنْ ذَنْبٍ، وإنْ قَالَها حِيْنَ يُمْسِيَ، غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا أَصَابَ في تِلْكَ اللَّيْلَةِ مِنْ ذَنْبٍ».

حديث حسن، وأخرجه الترمذي (٣٥٠١)، وأبو داود (٥٠٧٨) وغيرهما.

١٢٨٣- عَنْ أَبي سَلَّام قَالَ: كُنَّا في مَسْجِدِ حِمْصَ، فَدَخَلَ رَجُلٌ، فَقَالُوا: هٰذَا قَدْ خَدَمَ النَّبيَّ ﷺ، فَقُلْنا لَهُ: حَدِّثْنا حَدِيْثاً سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَمْ يَتَدَاوَلْهُ بَيْنَكَ وبَيْنَه الرِّجَالُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَقُولُ إذا أَمْسَى وإذا أَصْبَحَ ثَلاثاً: رَضِيْتُ باللهِ رَبّاً، وبالإسْلامِ دِيْناً، وبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيّاً إلا كانَ حَقّاً على اللهِ أَنْ يُرْضِيَهِ يَوْمَ القِيَامَةِ».

ويُروى هذا عن أبي سَلَمَة، عن ثَوْبَانَ، عن النبي ﷺ.

أخرجه أبو داود (٥٠٧٢) بإسنادٍ ضعيف. وحديث ثوبان أخرجه الترمذي (٣٣٨٩) وقال: حَسَنٌ غريب. وفي إسناده سعيد بن المرزبان، وهو ضعيفٌ مُدَلِّس، وقد حسَّنه الحافظ ابن حجر في «أمالي الأذكار» كما نقله ابن علّان في «الفتوحات الربانية» ٣/١٠٢.

١٢٨٤- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: كانَ النَّبِيُّ ﷺ إذا أَصْبَحَ قَالَ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وبِكَ أَمْسَيْنا، وبِكَ نحْيَا، وبِكَ نَموتُ، وإِليكَ المَصِيْرُ» وإِذا أمْسَى قَالَ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا وبِكَ أَصْبَحْنَا، وبِكَ نَحْيا، وبِكَ نَمُوتُ، وإِلَيْكَ المَصِيْرُ».

هذا حديث صحيح، ويروى: «وإليكَ النُّشُورُ». وأخرجه أبو داود (٥٠٦٨) والترمذي (٣٣٩١).

١٢٨٥- عَنْ عُثْمانَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ إذا أَصْبَحَ: بِسْمِ اللهِ الَّذي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيءٌ في الأَرْضِ ولا في السَّمَاءِ ثَلاثاً، لَمْ تَفْجَأْهُ فَاجِئَةٌ حَتَّى يُمْسِيَ، وإذا قَالَها حِيْنَ يُمْسِي، لَمْ تَفْجَأْهُ فَاجِئَةٌ حَتَّى يُصْبحَ».

هذا حديث حسن، وأخرجه أحمد ١/٤٩٨ (٤٤٦)، وأبو داود الطيالسي (٧٩)، والترمذي (٣٣٨٥)، وأبو داود (٥٠٨٨) و(٥٠٨٩) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٣٤٦) وابن ماجه (٣٨٦٩) وصحّحه ابن حبان (٨٥٢) و(٨٦٢).

١٢٨٦- عن عبد الحميد مولى بني هاشم، أَنَّ أُمَّهُ حَدَّثَتْهُ، وكانَتْ تَخْدِمُ بَعْضَ بَنَاتِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ بِنْتَ النَّبِيِّ حَدَّثَتْها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ

كانَ يُعَلِّمُها، يَقُولُ: «قُولي حِيْنَ تُصْبِحِيْنَ: سُبْحَانَ الله وبِحَمْدِهِ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ، مَا شَاءَ اللهُ كانَ، ومَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَدِيْرٌ، وأَنَّ الله قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلْماً، فَإِنَّهُ مَنْ قَالَهُنَّ حِيْنَ يُصْبحُ، حُفِظَ حَتَّى يُمْسِيَ، ومَنْ قَالَهُنَّ حِيْنَ يُمسي، حُفِظَ حَتَّى يُصْبحَ».

أخرجه أبو داود (٥٠٧٥) وفي إسنادِه مَنْ لا يُعْرف.

١٢٨٧- عَنِ ابنِ غَنَّام، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قالَ: «مَنْ قَالَ حِيْنَ يُصْبحُ: اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بي مِنْ نِعْمَةٍ، أوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، فَمِنْكَ وحْدَكَ لا شَرِيْكَ لَكَ، فَلَكَ الحَمْدُ، ولَكَ الشُّكْرُ، أَدَّى شُكْرَ ذٰلِكَ اليَوْمِ».

وفي رواية: «ومَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِيْنَ يَمسي، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتِه».

وابن غنَّام: هو عبد الله بن غنام البياضي، له صحبةٌ، وذكره الحافظ في «الإصابة» ٤/ ٢٠٧.

والحديث أَخرجه أَبو داود (٥٠٧٣)، والطبراني في «الدعاء» (٣٠٧)، والنسائي في «اليوم والليلة» (٧)، وصححه ابن حبان (٨٦١)، وحسَّنه الحافظ في «أَمالي الأَذكار»، مع أن في إسناده عبد الله بن عَنْبَسة لم يوثقه غير ابن حبان، ووقع عند النسائي وابن حبان «ابن عباس» وهو تصحيفٌ، والصواب ابن غنَّام وانظر تمام الكلام عليه في «صحيح ابن حبان».

باب

ما يقول المتزوج

١٢٨٨- عَنْ زَيْدِ بنِ أَسْلَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إذا تَزَوَّجَ أَحَدُكُمْ المَرْأَةَ، فَلْيَأْخُذْ بِنَاصِيَتِها، ولْيَدْعُ بالبَرَكَةِ»، وقَالَ: «وإذا ابْتَاعَ

أَحَدُكُمْ الجَارِيَةَ، فَلْيَأْخُذْ بِنَاصِيَتِها، ولْيَدْعُ بالبَرَكَةِ، وإذا ابْتَاعَ أَحَدُكُمْ بَعِيْراً، فَلْيَأخُذْ بِذِرْوَةِ سَنَامِهِ ولْيَتَعَوَّذْ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ».

أخرجه مالك في «الموطأ» ٢/٥٤٧.

وقال البغوي رحمه الله: هذا حديث منقطع، ويروى عن ابن عجلان، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إذا تَزَوَّجَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً، أَو اشْتَرَى خَادِماً، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وخَيْرَ ما جَبَلْتَهَا عَلَيْه، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وشَرِّ ما جَبَلْتَها عَلَيْهِ، وإذا اشْتَرَى بَعِيْراً، فَلْيَأخُذْ بِذِرْوَةِ سَنَامِهِ، ولْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ».

ويُروى بهذا الإسنادِ: «ثم لِيَأخُذْ بِنَاصِيَتِها، ولْيَدْعُ بالبَرَكَةِ في المَرْأَةِ والخَادِمِ». أخرجه البخاري في «أفعال العباد»: ٧٧، وأبو داود (٢١٦٠)، وابن ماجه (١٩١٨) بإسنادٍ حسن.

باب

ما يقول عند مواقعة الأهل

١٢٨٩- عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إذا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ: بِسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُما وَلَدٌ في ذٰلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَداً».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٦٣٨٨)، ومسلم (١٤٣٤).

وفي الحديث دليلٌ على استحبابِ التسمية والدعاءِ المذكور في ابتداءِ الجماع.

وقوله: «لم يضرَّه شيطان أبداً» قال ابن دقيق العيد: يحتمل أن يُؤخَذَ عامّاً يدخُلُ تَحْتَهُ الضَّررُ الديني، ويحتمل أَنْ يُؤْخَذَ خاصّاً بالنسبة إلى الضَّررِ البدني. بمعنى أَنَّ الشيطانَ لا يتخبَّطه ولا يُداخِلُه بما يَضُرُّ عَقْلَهُ أو بَدَنَه وهٰذا أقرب، وإنْ كان التخصيصُ على خلافِ الأصْلِ، لأَنا إذا حملناه على العموم اقتضى ذلك أَن يكونَ الولدُ معصوماً عن المعاصي كلِّها، وقد لا يَتَّفق ذلك أَو يَعِزُّ وجودُهُ، ولا بُد من وُقوع ما أَخْبَرَ عنه ﷺ، أَما إذا حملناه على أَمْرِ الضَّرَرِ في العَقْلِ أَو البَدَن، فَلا يمتنع ذلك، ولا يدلُّ دليلٌ على وُجودِ خلافه والله أعلم.

باب

ما يقول عند الكرب

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالى إِخْبَاراً عَنْ أَيُّوبَ: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، رُوِيَ أَنَّ أَيُّوبَ قَالَ في مُنَاجَاتِهِ: أَذْلَقَنِي البَلاءُ فَتَكَلَّمْتُ، أَي: جَهَدَني.

وقالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالى إِخْبَاراً عَنْ يُونُس: ﴿فَنَادَى في الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلٰهَ إِلاّ أَنْتَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

١٢٩٠- عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كان يَقُولُ عِنْدَ الكَرْبِ: «لا إِلٰهَ إِلا اللهُ العَظِيْمُ الحَلِيْمُ، لا إِلٰه إِلا اللهُ الحَلِيْمُ الكَرِيْمُ، لَا إِلٰهَ إِلا اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيْمُ، لا إِلٰهَ إِلا اللهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ ورَبُّ الأَرْضِ ورَبُّ العَرْشِ الكَرِيْمُ».

هذا حديث متفق على صحته. أخرجه البخاري (٦٣٤٦)، ومسلم (٢٧٣٠).

والكَرْبُ: الغم.

١٢٩١- عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ عِنْدَ الكَرْبِ: «لا إِلٰهَ إلا اللهُ العَلِيُّ العَظِيْمُ، لا إِلٰهَ إلا اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيْمُ، لا إِلٰهَ إلا اللهُ رَبُّ السَّمَاواتِ، ورَبُّ الأَرْضِ ورَبُّ العَرْشِ الكَرِيْمُ».

انظر ما قبله.

الحليم: من أسماء الله تعالى، ومعناه: الذي لا يَسْتَخِفُّه عِصْيانُ العُصَاةِ، ولا يَسْتَفِزُّهُ الغَضَبُ عَلَيْهِم، ولكنه جعل لِكُلِّ شيءٍ مقداراً، فهو مُنْتَهٍ إليه.

وروي عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ كان إذا أَهَمَّه أمرٌ رَفَعَ رَأْسَهُ إلى السَّمَاءِ فقال: «سُبْحَانَ اللهِ العظيم»، وإذا اجْتَهَدَ في الدعاءِ قال: «يا حَيُّ يا قَيُّومُ» وهو حديث غريب، أَخرجه الترمذي (٣٤٣٢) وفي إسناده إبراهيم ابن الفضل، ضعيفٌ باتفاقِهم، وللحديث شاهدٌ يتقوَّى به عند الحاكم ١/٥٠٩.

باب

ما يقول عند الغضب

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالى: ﴿إذا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾ [الأعراف: ٢٠٠] قَالَ مُجَاهِدٌ: غَضَبٌ، وقِيْلَ: تَأْوِيْلُهُ: مَا طَافَ بِهِ مِنْ وَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ.

١٢٩٢- عَنْ سُلَيْمَانَ بنِ صُرَدٍ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ونَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ، فَأَحَدُهُما يَسُبُّ صَاحِبَهُ مُغْضَباً قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَها لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ

قَالَ: أَعُوذُ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: أَلا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ!! قَالَ: إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ.

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٦١١٥)، ومسلم (٢٦١٠).

الغَضَبُ كما قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» ١/ ٣٦٩: غَلَيَانُ دَمِ القَلْبِ طلباً لِدَفْعِ المؤذي عند خَشْية وُقوعِه، أو طلباً للانتقام ممَّن حصل منه الأَذى بعد وُقوعه، وينشأُ من ذَلك كثيرٌ من الأفعالِ المُحَرَّمةِ كالقَتْلِ والضَّرْبِ وأَنواعِ الظلم والعدوان، وكثيرٌ من الأَقوالِ المُحَرَّمةِ كالقَذْفِ والسبِّ والفُحْشِ، وربما ارتقى إلى درجة الكُفْرِ، وكالأيمانِ التي لا يجوزُ التزامُها شَرْعاً، وكطلاق الزوجة الذي يُعْقِبُ الندم.

والواجبُ على المؤمن أَن تكونَ شهوتُه مقصورةً على طلبِ ما أَباحه الله له، وربما تناولها بِنِيَّةٍ صالحةٍ فأُثيبَ عليها، وأَن يكونَ غَضَبُهُ دَفْعاً للأَذى في الدينِ له أَو لِغَيْرِهِ وانتقاماً ممَّن عصى الله ورسوله كما قال تعالى: ﴿قاتِلوهم يُعَذِّبهم الله بأَيديكم ويُخْزِهم ويَنْصُرْكم عليهم ويَشْفِ صدورَ قَوْمٍ مؤمنين. ويُذْهِبْ غَيْظَ قلوبهم﴾ [التوبة: ١٤-١٥]. وهكذا كانت حال رسول الله صلوات الله عليه وسلامه، فإنه كان لا ينتقم لِنَفْسِهِ، ولكن إذا انتهكت حرماتُ الله لم يَقُمْ لغضبه شيءٌ، كما ذكره البخاري (٦١٢٦) وغيره.

قوله: «إني لستُ بمجنون» هذا كلامُ مَنْ لم يَتَفَقَّه في الدين، إذ ظنَّ أنه لا يُستعاذُ إلاّ من المسِّ، ولم يعلم أَنَّ الغَضَبَ من أَوائِلِ مَسِّه، ولهذا يخرجُ به عن اعتداله حتى يُزَيِّنَ له إفسادَ مالِه وقتْلَ مُنازِعه إلى غير ذلك من الأفعال الذميمة.

باب

ما يقول عند صياح الديك

١٢٩٣- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «إذا سَمِعْتُمْ صِياحَ الدِّيْكِ، فَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكاً، وإذا سَمِعْتُمْ نُهَاقَ الحِمارِ، فَتَعَوَّذُوا باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ رَأى شَيْطَاناً».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٣٣٠٣)، ومسلم (٢٧٢٩) قال الحافظ في «الفتح» ٦/٤٠٦: للديكِ خِصِّيصةٌ ليست لغيره من معرفةِ الوَقْتِ الليلي، فإنَّهُ يُقَسِّطُ أصواتَه فيه تقسيطاً لا يكاد يتفاوت.

قوله: «فاسألوا الله من فَضْلِه»: قال القاضي عياض: كأَنَّ السببَ فيه رجاءُ تأمين الملائكة على دعائه واستغفارهم له وشهادتهم له بالدعاء. ويُؤخَذُ منه استحباب الدعاءِ عند حضورِ الصالحين تبرُّكاً بهم. وفي «صحيح ابن حبان» (٥٧٣١) من حديث زيد بن خالد مرفوعاً «لا تسبُّوا الديك فإنَّه يدعو إلى الصلاة» وقال الحليمي: يُؤخَذُ منه أَنَّ كلَّ من استُفيد منه الخَيْرُ لا ينبغي أَن يُسَبَّ ولا أَن يُستهانَ به، بل يُكْرَمُ ويُحسن إليه.

قولـه: «فَتَعَوَّذُوا بالله من الشيطان» قال القاضي عياض: وفائدة الأمر بالتعوُّذِ لما يُخْشى من شَرِّ الشيطان وشَرِّ وسوسته، فيلجأ إلى الله في دَفْعِ ذلك.

وروي عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمْ نُبَاحَ الكِلَابِ، ونَهِيْقَ الحُمُرِ باللَّيْلِ، فَتَعَوَّذُوا باللهِ، فَإِنَّهُنَّ يَرَيْنَ ما لا تَرَوْنَ». إسناده صحيح، وأَخرجه أَحمد (١٤٢٨٣)، وأَبو داود (٥١٠٢) وغيرهما.

باب

ما يقول عند رؤية الهلال

١٢٩٤- عن طلحة بن عبيد الله: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ إذا رَأى الهِلالَ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا باليُمْنِ والإيْمانِ، والسَّلامَةِ والإسْلاَمِ، رَبي ورَبُّكَ اللهُ».

حسن لغيره، أخرجه الترمذي (٣٤٥١)، والدارمي (١٦٨٨)، وأحمد (١٣٩٧)، وفيه تمام تخريجه.

«اليُمْن» بضم الياء: البَرَكة.

١٢٩٥- عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: كانَ النَّبِيُّ ﷺ إذا رَأَى الهِلاَلَ كَبَّرَ ثَلاثاً، وهَلَّلَ ثَلاثاً، ثُمَّ قالَ: «هِلاَلُ خَيْرٍ ورُشْدٍ» ثَلاثاً ثُمَّ قَالَ: «آمَنْتُ بالَّذي خَلَقَكَ» ثَلاثاً، ثُمَّ قَالَ: «الحمدُ للهِ الَّذي ذَهَبَ بِشَهْرِ كَذَا، وجَاءَ بِشَهْرِ كَذَا».

هذا حديث مرسل، أخرجه أبو داود (٥٠٩٢).

باب

ما يقول إذا رأى مبتلى

١٢٩٦- عن سالم بن عبد الله، عن أبيه، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ رَجُلٍ رَأَى مُبْتَلىً، فَقَالَ: الحَمْدُ للهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلاَكَ بهِ، وفَضَّلَنِي عَلى كَثِيْرٍ ممَّنْ خَلَقَ تَفْضِيْلاً إلا لَمْ يُصِبْهُ ذٰلِكَ البَلاءُ كائِناً مَا كانَ».

obeikandi.com

أخرجه الترمذي (٣٤٣١) وسنده ضعيف، وأخرجه من طريق أبي هريرة (٣٤٣٢) وقال: هذا حديثٌ حسن غريبٌ من هذا الوجه وهو كما قال، فإن له شاهداً بسند حسن، من حديث ابن عمر عند أبي نعيم في «الحلية» ٥/ ١٣، وفي «أخبار أصبهان» ١/ ٢٧١. وقال الطرطوشي في «الدعاء المأثور وآدابه» ص٢٦٩:

والمقصود بالابتلاء: ما كان ابتلاءً دينياً كارتكاب المعاصي، أو دنيوياً كمن كان له مالٌ يُلْهيه عن عبادة ربِّه، أو جاهٌ عريضٌ يُفْضي به إلى الظلم. والظاهر أَن المرادَ من الرؤية العِلْمُ.

باب

ما يقول إذا دخل السوق

١٢٩٧- عَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ في سُوقٍ جَامِعٍ يُبَاعُ فيهِ: لا إِلٰهَ إلا اللهُ وحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، ولَهُ الحَمْدُ يُحْيي ويُمِيْتُ، وهُوَ حَيٌّ لا يَموتُ بِيَدِهِ الخَيْرُ، وهُوَ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيْرٌ، كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، ومَحَا عَنْهُ أَلفَ أَلفِ سَيِّئَةٍ، وبَنَى لَهُ بَيْتاً في الجَنَّةِ».

أخرجه ابن ماجه (٢٢٣٥)، والترمذي (٣٤٢٥)، وقال: هذا حديث غريب، وأخرجه أيضاً (٣٤٢٤) من حديث أزهر بن سنان، عن محمد بن واسع، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه، عن جده، وأزهر ضعيف، وللحديث طرق أخرى عند الحاكم ١/ ٥٣٨، ٥٣٩، وابن السني (١٧٧) و(١٧٨)، وأحمد في «الزهد» ص ٢١٤ يتقوى بها الحديث عند بعضهم.

١٢٩٨- عَنْ عَبْدِ الله بن عَمْرو بنِ العَاصِ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ ذَكَرَ اللهَ في السُّوقِ مُخْلِصاً عِنْدَ غَفْلَةِ النَّاس، وشُغْلِهِمْ بما

هُمْ فيهِ، كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلفَ أَلفِ حَسَنَةٍ، ولَيَغْفِرَنَّ اللهُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مَغْفِرَةً لَمْ تَخْطُرْ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ».

إسناده ضعيف، وانظر ما قبله.

روي: أن ابن سيرين كان يدخُلُ نصفَ النهار، فيكبِّرُ ويسبِّحُ، ويذكر الله، فقيل له فيه، فقال: إنها ساعةُ غفلة.

باب

كفارة المجلس

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِيْنَ تَقُومُ﴾ [الطور: ٤٨] قَالَ عَطَاء: مِنْ كُلِّ مَجْلِسٍ تَجْلِسُهُ.

١٢٩٩- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ جَلَس مَجْلِساً فَكَثُرَ فيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إلا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وأَتُوبُ إليْكَ، إلا كانَ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهُما».

أخرجه أبو داود (٤٨٥٨)، والترمذي (٣٤٣٣)، وصحَّحه ابن حبان (٥٩٤) وفيه تمامُ تخريجه.

ورُوي أن ابن عمر كان جالساً في نَفَرٍ، فأرادوا القيامَ، فقال رجل: قوموا على اسم الله، فأنكر ذلك ابن عمر وقال: قوموا باسم الله.

ويروى أنه كان في جنازة، فقيل: ارتفعوا على اسم الله، فقال: لا تقولوا: ارتفعوا على اسم الله، فإنَّ اسْمَ الله علا كلَّ شيء، ولكن قولوا: ارتفعوا باسم الله.

باب

ما يقول إذا خرج إلى السفر

١٣٠٠- عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ سَرْجس قَالَ: كانَ النَّبِيُّ ﷺ إذا خَرَجَ مُسافِراً يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعثاءِ السَّفَرِ، وكَآبَةِ المُنْقَلَبِ، والحَوْرِ بَعْدَ الكَوْرِ، وسُوءِ المَنْظَرِ في الأَهْلِ والمَالِ».

أخرجه مسلم (١٣٤٣).

قوله: «وَعْثَاءِ السَّفَر» شِدَّتُه ومشقَّتُه، وأصله من الوَعْثِ وهو أرضٌ فيها رَمْلٌ تَسُوخُ فيها الأرْجُلُ، ويَشُقُّ فيها المَشْيُ.

وقوله: «وكآبة المُنْقَلَبِ» معناه: أن يَنْقَلِبَ مِنْ سَفَرِهِ كئيباً حزيناً، غيرَ مَقْضِيِّ الحَاجَةِ، أو مَنْكُوباً ذَهَبَ مالُه، أو أصابته آفة في سفره، أو يجدُ أهْلَهُ أصابتهم آفةٌ أو مرضٌ، أو يَفْقِدُ بَعْضَهُمْ.

وقوله: «والحَوْرِ بَعْدَ الكَوْرِ» أي: من التفرق بعد الاجتماع، يقال: كار العِمَامَة: إذا لَفَّها، وحَارَهَا، إذا نَقَضها، وقيل: معناه: أَنْ تَفْسُدَ أمورُنا بَعْدَ استقامتها، كنقض العِمامة، ويروى: «بعد الكون» بالنون، يقال: حار بعد ما كان، يريد: كان على حالة جميلة، فحار عن ذلك، أي: رجع، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ. بَلَى﴾ [الانشقاق: ١٤، ١٥] أي: لن يرجِعَ، وقيل: الحور: النقصانُ، والكورُ: الزيادة. وانظر «غريب الحديث» للخطابي ٢/٣٠٨.

باب

ما يقول إذا ركب الدابة

١٣٠١- عن عَلي بن رَبِيْعَةَ: أَنَّهُ شَهِدَ عَلِيّاً حِيْنَ رَكِبَ، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ في الرِّكابِ قَالَ: بِسْمِ اللهِ، فَإذا اسْتَوَى قَالَ: الحَمْدُ للهِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا ومَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِين. وإنَّا إلى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٣-١٤] ثُمَّ حَمِدَ ثَلاَثاً، وكَبَّرَ ثَلاَثاً، ثُمَّ قَالَ: لا إلٰهَ إلا اللهُ ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لي إنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاّ أَنْتَ، ثُمَّ ضَحِكَ، فَقِيْلَ: ما يُضْحِكُكَ يا أَمِيْرَ المُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ فَعَلَ مِثْلَما فَعَلْتُ، وقَالَ مِثْلَما قُلْتُ، ثُمَّ ضَحِكَ، فَقُلْنا: ما يُضْحِكُكَ يا نَبِيَّ الله؟ قَالَ: «العَبْدُ -أو قَالَ: عَجِبْتُ لِلْعَبْدِ- إذا قَالَ: لا إلٰهَ إلا أَنْتَ ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لي إنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أَنْتَ، يَعْلَمُ أَنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا هُوَ».

حسن لغيره، أخرجه أحمد ٢/١٤٨ برقم (٧٥٣)، والطيالسي (١٣٢)، وأبو داود (٢٦٠٢)، والترمذي (٣٤٤٦)، وانظر تمام تخريجه في «المسند».

١٣٠٢- عَنْ عَلِيِّ بنِ رَبِيْعَةَ قَالَ: شَهِدْتُ عَلِيّاً أُتِيَ بِدَابَّةٍ لِيَرْكَبَها، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ في الرِّكابِ، قَالَ: باسْمِ اللهِ، فَلَمَّا اسْتَوى عَلى ظَهْرِها قَالَ: الحَمْدُ للهِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا ومَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِين. وإنَّا إلى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾، ثم قال: الحَمْدُ للهِ ثَلاَثاً، والله أكْبرُ ثَلاَثاً، سُبْحَانَك إني ظَلَمْتُ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لي، فإنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاّ أَنْتَ، ثُمَّ ضَحِكَ، فَقُلْتُ: من أيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ يا أَمِيْرَ

المُـؤْمِنِيـنَ؟ قَـالَ: رَأَيْـتُ رَسُـولَ الله ﷺ صَنَـعَ كمـا صَنَعْـتُ، ثُـمَّ ضَحِكَ، فَقُلْتُ: مِنْ أيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ يا رسولَ الله؟ قَالَ: «إِنَّ رَبَّكَ لَيَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إذا قَالَ: ربِّ اغْفِرْ لي ذُنُوبي، يَعْلَمُ أَنَّ الذُّنُوبَ لا يَغْفِرُها أَحَدٌ غَيْرِي».

قال ابن مسعود: إذا رَكِبَ الرَّجُلُ الدَّابَّةَ، فَلَمْ يذكُر اسْمَ اللهِ رَدِفَهُ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ لَهُ: تَغَنَّ فإنْ لَمْ يُحْسِنْ قال له: تَمَنَّ.

قوله: «ما كنَّا لهُ مُقْرنين» أي: ما كُنَّا مُطيقين تَسْخير هذه الدواب لولا أَنْ سَخَّرها الله تعالى لنا.

١٣٠٣- عن علـيٍّ الأَزدي: أَنَّ ابنَ عُمَرَ عَلَّمَهُمْ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كانَ إذا اسْتَوَى عَلى بَعِيْرِه خَارِجاً إلى السَّفَرِ، كَبَّرَ ثَلاثاً، ثُمَّ قَالَ: «﴿سُبْحَانَ الَّـذي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا ومَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِيْنَ. وإنا إلى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ اللَّهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ في سَفَرِنا هٰذَا البِرَّ والتَّقْوى، ومِنَ العَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنا هٰذا، واطْوِ لَنَا بُعْدَه، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ في السَّفَرِ، والخَلِيْفَةُ في الأَهْلِ، اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وكَآبَةِ المنظر، وسُوءِ المُنْقَلَبِ في المَالِ والأَهْلِ».

وإذا رَجَعَ قَالَهُنَّ، وزادَ فِيْهِنَّ: «آيِبُونَ تائِبُونَ عابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ».

هذا حديث صحيح أَخرجه مسلم (١٣٤٢).

قوله: «أنت الصاحب في السفر» أي: الحافظ، يقال: صَحِبَكَ الله، أي: حَفِظَكَ، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلاهُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٣] أي: لا يُجَارُونَ، ومن صحِبَه اللهُ لم يضره شيء.

باب

التوديـــع

١٣٠٤- عن الفضل بن عبد الله بن قتادة، عَنْ عَمِّه هِشَامِ بنِ قَتَادةَ، عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: لمَّا عَقَدَ لي رسُولُ اللهِ ﷺ على قَوْمِي، أَخَذْتُ بِيَدِهِ، فَوَدَّعْتُهُ، فَقالَ لي رَسُولُ الله ﷺ: «جَعَلَ اللهُ التَّقْوَى زَادَكَ، وغَفَرَ ذَنْبَكَ، وَوَجَّهَكَ لِلْخَيْرِ حَيْثُمَا تَكُونُ».

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/ ١٣٠ وقال: أخرجه الطبراني في «الكبير» والبزار، ورجالهما ثقات. أخرجه الترمذي (٣٤٤٠)، والحاكم ٢/ ٩٧ من حديث أنس بنحوه. وقال الترمذي: حسن غريب.

١٣٠٥- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَرادَ رَجُلٌ سَفَراً، فَأَتَى رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: يا رَسُولَ الله أَوْصِنِي، قَالَ: «أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ، والتَّكْبِيرِ عَلى كُلِّ شَرَفٍ، فَلَمَّا مَضَى، قَالَ: «اللَّهُمَّ ازْوِ لَهُ الأَرْضَ، وهَوِّنْ عَلَيْهِ السَّفَرَ».

هذا حديث حسن، أخرجه الترمذي (٣٤٤٥)، والحاكم ٢/ ٩٨، وصححه ابن حبان (٢٦٩٢).

وروي عن نافع، عن ابن عمر قال: كان النبي ﷺ إذا وَدَّعَ رَجُلاً أَخَذَ بِيَدِهِ، فَلا يَدَعُها حتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الذي يَدَعُ يَدَ النَّبيِّ ﷺ، ويَقُولُ: «اسْتَوْدِعُ الله دِينَكَ وأَمانَتَكَ وآخِرَ عَمَلِكَ» أخرجه أحمد (٤٥٢٤)، والترمذي (٣٤٤٣)، والطبراني في «الدعاء» (٨٢١) بإسنادٍ صحيح.

ورواه سالم عن ابن عمر وقال: «وخواتيمَ عملك» قيل: أراد بالأمانة: ما يخلِّفُ من الأهل والمال.

باب

ما يقول إذا نزل منزلاً

١٣٠٦- عَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيْمٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِماتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ، فَإِنَّهُ لا يَضُرُّهُ حَتَّى يَرْتَحِلَ إِنْ شَاءَ اللهُ».

أخرجه مسلم (٢٧٠٨)، ومالك ٢/٩٧٨.

ورواه مالك في موضع آخر عن الثقة عنده، عن بُكير بن عبد الله بن الأشَج، عن بُسْرِ بن سعيد بهذا الإسناد مثلَه، ولم يذكر في آخره «إن شاء الله».

قال ابن عبد البَرِّ في «التمهيد» ٢٤/١٨٦: وفي الاستعاذة بكلمات الله التامات أَبْيَنُ دليلٍ على أَنَّ كلامَ الله منه تبارك اسمه وصفَةٌ من صفاته ليس بمخلوق لأنه محالٌ أن يُسْتعاذَ بمخلوق، وعلى هذا جماعةُ أهل السنة والحمد لله.

١٣٠٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَسْلَمَ قَالَ: مَا نِمْتُ هٰذِهِ اللَّيْلَةَ، فَقَالَ له رَسُولُ الله ﷺ: «مِنْ أَيِّ شَيءٍ؟» قَالَ: لَدَغَتْنِي عَقْرَبٌ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَما إِنَّكَ لَوْ قُلْتَ حِيْنَ أَمْسَيْتَ: أَعوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّكَ إِنْ شَاءَ اللهُ».

أخرجه مسلم (٢٧٠٩)، وقال القرطبي في «المُفْهم»: هذا حديثٌ صحيحٌ، وخَبَرُ صِدْقٍ عُلِمَ صِدْقُه بالتجربة، وإني منذ سمعتُه عملتُ به إلاّ أن تركتُه. واتّفق أن لدغتني عقربٌ بالمَهْدِيَّةِ ليلاً فتفكرت في نفسي فوجدتني نَسيتُ أن أقولَه تلك الليلة.

١٣٠٨- عن ابنِ عُمَرَ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ: أَنَّهُ كانَ إذا سَافَرَ فَأَقْبَلَ اللَّيْلُ قَالَ: «يا أَرضُ، رَبِّي ورَبُّكِ اللهُ، أَعُوذُ باللهِ مِنْ شَرِّكِ، وشَرِّ مَا فِيْكِ، وشَرِّ ما خَلَقَ فِيْكِ، وشَرِّ ما يَدِبُّ عَلَيْكِ، وأَعُوذُ باللهِ مِنْ أَسَدٍ وأَسْودَ، ومِنَ الحَيَّةِ والعَقْرَبِ، ومِنْ سَاكِنِ البَلَدِ، ومِنْ وَالِدٍ ومَا وَلَدَ».

أَخرجه أَبو داود (٢٦٠٣)، وصححه الحاكم ٢/١٠٠ ووافقه الذهبي، وحسَّنه الحافظ ابن حجر.

قوله: «ساكنِ البَلدِ» أراد: الجنَّ الذين هم سكان الأرض، والبلد من الأرض: ما كان مأوىً للحيوان وإن لم يكن فيه بناء.

وقال الخطابي في «شأن الدعاء»: ١٨٦: يعني بالأَسود: الحية. و«الوالد»: «إبليس». «وما ولد» نَسْلُه وذُرِّيتُه.

باب

التكبير إذا علا شرفاً والتسبيح إذا نزل

«الشَّرَفُ»: المكانُ العالي المرتفع.

١٣٠٩- عَنْ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: كُنَّا إذا صَعِدْنَا كَبَّرْنا، وإذا نَزَلْنا سَبَّحْنا.

هذا حديث صحيح، أَخرجه البخاري (٢٩٩٣) ووجه المناسبة في التكبير عند الصعود إلى المكان المرتفع أَنَّ الاستعلاء والارتفاع محبوبٌ للنفوس لما فيه من استشعار الكبرياء، فَشُرِع لمن تلبَّس به أَن يذكر كبرياء الله تعالى، وأَنه أَكبر من كل شيء، ليشكر له ذلك، فيزيده من فضله. ومناسبة التسبيح عند

الهبوط في الوديان لأن المكان المنخفض محلُّ ضيق، فيُشرع فيه التسبيح لأنه من أسباب الفرج كما وقع في قصة يونس عليه السلام حين سبَّح في الظلمات فنُجّيَ من الغم. أفاده الحافظ في «الفتح» ٦/ ١٥٨.

باب

ما يقول إذا قَفَلَ من السفر

١٣١٠- عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كانَ إذا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ يُكَبِّرُ عَلى كُلِّ شَرَفٍ مِنَ الأَرْضِ ثَلاثَ تَكْبِيْراتٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «لا إِلٰهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، ولَهُ الحَمْدُ، وهُوَ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيْرٌ، آيِبُونَ تائِبُونَ، عَابِدُونَ، سَاجِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ، ونَصَرَ عَبْدَهُ، وهَزَمَ الأَحْزَاب وَحْدَهُ».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (١٧٩٧)، ومسلم (١٣٤٤).

وفي الحديثِ من الفِقْه: الحضُّ على ذِكْرِ الله وشُكْرِهِ للمسافِر على أوْبَتِه.

باب

الدعاء للكفار بالهداية

١٣١١- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ الطُّفَيْلُ بنُ عَمْرو الدَّوسِيُّ إلى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: يا رَسُولَ الله إنَّ دَوْساً قَدْ عَصَتْ وأَبَتْ، فَادْعُ الله عَلَيْها، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولُ الله ﷺ القِبْلَةَ ورَفَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ النَّاسُ: هَلَكَتْ دَوْسٌ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْساً، وأْتِ بِهِمْ».

هـذا حـديـث متفـق علـى صحتـه، أخـرجـه البخـاري (٤٣٩٢)، ومسلـم (٢٥٢٤).

وأخرجه البخاري في الجهاد والسير برقم (٢٩٣٧) (باب الدعاءِ للمشركين بالهدى ليتألَّفهم) قال الحافظ في «الفتح» ٦/ ١٢٦: وقوله: «ليتألَّفهم» هو من تفقُّه المصنِّف إشارةً منه إلى الفَرْقِ بين المقامين، وأنَّه ﷺ كان تارةً يدعو عليهم -أي المشركين- وتارةً يدعو لهم، فالحالةُ الأُولى حيث تشتدُّ شوكتُهم ويكثرُ أذاهم، والحالةُ الثانية حيثُ تُؤْمَنُ غائلتهم، ويُرْجى تألُّفُهم.

باب

الدعاء على الكفار

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ على مُضَرَ».

أخرجـه البخاري (٢٩٣٢)، ومسلم (٦٧٥). وأصـلُ الـوَطْءِ: الدَّوْسُ بالقَدَم سُمِّيَ به القَتْلُ، لأَنَّ مَنْ وَطِىءَ الشيءَ بِرِجْلِهِ فقد استقصى في هلاكه وإهانته، والمعنى: خُذْهم أَخْذَاً شديداً، والمرادُ بعضُ أهل نجد ومن جملتهم قريش.

١٣١٢- عن إسماعيل بن أَبي خالد، أنه سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بنَ أَبي أَوْفَى يَقُولُ: دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الأَحْزَابِ على المُشْرِكِيْنَ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ مُنَزِّلَ الكِتَابِ، سَرِيْعَ الحِسَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمِ الأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وزَلْزِلْهُم».

هذا حديث متفق على صحته، أَخرجه البخاري (٢٩٣٣)، ومسلم (١٧٤٢).

ورُوي عن أبي بُردة بن عبد الله: أن أباه حدَّثه: أن النبي ﷺ كان إذا خاف قوماً قال: «اللهمَّ إنَّا نجعَلُكَ في نحورهم، ونعوذُ بك مِن شُرورِهم». أخرجه أحمد (١٩٧١٩)، وأبو داود (١٥٣٧) بإسنادٍ صحيح.

ورُوي عن قَتَادَة، عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ إذا غَزَا قال: «اللهُمَّ أنتَ عَضُدِي ونَصِيْرِي، بِكَ أَحُولُ، وبك أصُولُ، وبك أقَاتِلُ» أخرجه أبو داود (٢٦٣٢)، والترمذي (٣٥٨٤).

قوله: أحولُ، يعني أحتال، والحَوْل: الحِيلة، وقيل: معناه: المنعُ والدفعُ، وقيل: «بك أحول» أي: أتحرك، والحول: الحركَةُ، يقال: حال الشخص: إذا تَحَرَّكَ، «وبك أصولُ» أي: أحمل على العدو، ويُروى: «وبك أُحَاوِلُ»، أي: أطالِبُ.

باب
ترك الدعاء على الظالم

١٣١٣- عَنْ عَائشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وسَمِعَها تَدْعُوْ عَلى سَارِقٍ سَرَقَها، قَالَ: «لا تُسَبِّخِي عَنْهُ بِدُعَائِكِ عَلَيْهِ».

أخرجه أبو داود (١٤٩٧) وفي سنده حبيب بن أبي ثابت وهو مُدَلِّس وقد رواه بالعنعنة، وبقية رجاله ثقات.

قوله: «لا تُسَبِّخي» أي: لا تُخَفِّفي، يقال: اللهمَّ سَبِّخ عني الحُمَّى، أي: خفِّفها، وهذا كما يُروى عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ دَعَا على مَنْ ظلمَهُ فَقَدِ انْتَصَرَ». أخرجه الترمذي (٣٥٤٧) وفي سنده أبو حمزة ميمون الأَعور وهو ضعيف.

باب

الاستعاذة

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالى: ﴿وقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِيْنِ﴾ [المؤمنون: ٩٨] وقَالَ تَعَالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾، وقَولُهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ﴾: هُوَ الشَّيْطَانُ يُوَسْوِسُ إلى العَبْدِ، فَإذا ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ، أَي: انْقَبَضَ وتَأَخَّرَ.

١٣١٤- عن أَنس قَالَ: كانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ، والحَزَنِ، والعَجْزِ والكَسَلِ، والجُبْنِ والبُخْلِ، وضَلَعِ الدَّيْنِ، وغَلَبَةِ الرِّجالِ».

الحُزْنُ والحَزَن واحدٌ مِثْلُ البُخْلِ والبَخَلِ.

هذا حديث صحيح أَخرجه البخاري (٦٣٦٩) وأكثرُ الناس على أن لا فرق بين الهمِّ والحَزَن وهما متقاربان، إلا أن الحَزَن يكون على أمرٍ قد وقع، والهمُّ فيما يُتوقع ولم يَكُنْ بعدُ.

قوله: «وضَلَع الدَّين» أي: ثِقَله حتى يميلَ صاحبُه عن الاستواء لثقله، والضَّلَعُ: الاعوجاجُ.

ورُوي عن أبي سعيد: أن النبي ﷺ قال لرجلٍ عليه ديونٌ: «قُلْ إذا أصبحتَ وإذا أمسيت: اللهُمَّ إني أعوذُ بك من الهمِّ والحزَن...» فذكر مثله، وقال: «وقَهْرِ الرِّجَالِ» قال: ففعلتُ فأَذهب اللهُ هَمِّي وقَضَى عَنِّي دَيني. أخرجه أَبو داود (١٥٥٥) وفي سنده غسان بن عوف المازني، ليَّنه الحافظ في «التقريب»: ٣٧٨.

١٣١٥- عن أَنَس بنِ مَالِكٍ قال: كانَ نَبِيُّ الله ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ والكَسَلِ، والجُبْنُ، والهَرَمِ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا والممَاتِ».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٦٣٦٧)، ومسلم (٢٧٠٦). قوله: «فتنة المحيا والممات» أي: الفتنة زَمَنَ الحياة، وزمن الموتِ من أَوَّلِ النَّزع. قال ابن بَطَّال في «شرح البخاري» ١٠/١١٧: هذه كلمةٌ جامعةٌ لمعانٍ كثيرة، وينبغي للمرءِ أن يَرْغَبَ إلى رَبّه في رَفْعِ ما نزل، ودَفْع ما لم يَنْزِل، ويستشعر الافتقارَ إلى رَبِّه في جميع ذلك.

١٣١٦- عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ، والهَرَمِ، والمَغْرَمِ، والمَأْثَمِ، اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وفِتنةِ النَّارِ، وفِتْنَةِ القَبْرِ، وعَذَابِ القَبْرِ، وشَرِّ فِتْنَةِ الغِنَى، وشَرِّ فِتْنَةِ الفَقْرِ، ومِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسِيْحِ الدَّجَّالِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايايَ بِماءِ الثَّلْجِ، والبَرَدِ، ونَقِّ قَلْبي كما يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، وباعِدْ بَيْني وبَيْنَ خَطَايايَ كَما باعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٦٣٦٨)، ومسلم (٥٨٩).

«المَأْثَم» بفتح الميم: ما يقتضي الإثْم. و«المَغْرَمُ»: ما يقتضي الغُرْمَ وهو ما يَلْزَمُ الشَّخْصَ أداؤه كالدَّيْنِ. وقد جاءَ مُفَسَّراً في «النسائي» ٨/٢٥٨ من حديث عائشة قالت: قلتُ: يا رسولَ الله، ما أكثر ما تتعوَّذُ من المَغْرَم! قال: «إنَّه مَنْ غَرِمَ حدَّثَ فكذب ووَعَدَ فأَخْلَفَ» قال السِّندي: وحاصلُ الجوابِ أَنَّ الاستعاذةَ منه ليس بحُبِّ التوسع وإنَّما هو لأَجْلِ ما يُفْضي إليه من خَلَلٍ في الدِّين.

قوله: «فتنة الغنى» فَسَّره الغزالي بقوله: فتنةُ الغنى الحِرْصُ على جَمْعِ المال وحُبِّه حتى يكسبه من غير حِلِّه ويمنعه من واجباتِ إنفاقه وحقوقه. و«فتنة الفقر»: يُرادُ به الفَقْرُ المُدْقِعُ الذي لا يصحبه خَيْرٌ ولا وَرَعٌ حتى يتورَّط صاحبُه بسببه فيما لا يليق بأهل الدين والمروءة.

قوله: «الدَّنَسُ» هو: الوَسَخُ. وإنَّما خصَّ الثَّلْجَ والبَرَدَ بالذكر لأَنَّهما ماءان مفطوران على خِلْقَتهما لم تَمْتَرِسْهُما الأَيْدي، ولم تَخُضْهما الأَرْجُلُ كسائِر المياه التي قد خالطت تربةَ الأَرض، فكانا أحقَّ بكمالِ الطهارة. أفاده الخطابي في «شأن الدعاء»: ١٦٩.

١٣١٧- عَنْ زَيْدِ بنِ أَرْقَمَ قَالَ: لا أَقُولُ لَكُمْ إلا مَا قَالَ لَنا رَسُول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ، والكَسَلِ، والبُخْلِ، والجُبْنِ، والهَمِّ، وعَذَابِ القَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْواها، وزَكِّها أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّها ومَولاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، ومِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، ومِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، ومِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجابُ لها».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٧٢٢).

قوله: «ومن علمٍ لا ينفع» أي: لا يُعْمَلُ به وهو ممَّا يعود ضرره إلى العالِمِ به.

قوله: «ومن نَفْسٍ لا تشبع»: لشدَّة حِرْصِها وتعلُّقِها بالآمال البعيدة.

وفي الحديث دليلٌ على جوازِ السَّجْعِ في الدعاءِ، وأَنَّ المكروه منه ما كان مُتَكَلَّفاً لأنَّه يَذْهَبُ بالخُشوعِ ويلهي عن التضرُّع، وأَمَّا ما جاءَ منه عَفْواً في الكلام المُستَعذَبِ فهو مستحسن.

١٣١٨- عَنْ أَنَس: أن النَّبيَّ ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ إنِّي أعوذ بك من قلب لا يَخْشَعُ، ومِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، ومِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، ومِنْ قَوْلٍ لا يُسْمَعُ، اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هٰؤلاءِ الأَرْبَعِ».

في إسناده أبان بن أَبي عياش البصري، وهو متروك، ويُغْني عنه الحديثُ السابق. وفي الباب عن عبد الله بن عمرو عند أَحمد (٦٥٥٧)، والترمذي (٣٤٧٨) وغيرهما بإسنادٍ صحيح.

ورواه أبو هريرة أيضاً وقال: «ومِنْ دعاءٍ لا يُسْمَعُ»، يعني: لا يُجاب، ومنه قول المصلي: سمع الله لمن حمده: استجاب اللهُ دعاءَ من حمده.

١٣١٩- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ: كانَ رَسُولُ الله ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ جَهْدِ البَلاءِ، ودَرَكِ الشَّقَاءِ، وسُوءِ القَضَاءِ، وشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ. قَالَ سُفْيانُ: الحَدِيْثُ ثَلاثٌ، زِدْتُ أَنا واحِدَةً لا أَدري أَيَّتَهُنَّ.

هذا حديث متفق على صحته، أَخرجه البخاري (٦٣٤٧)، ومسلم (٢٧٠٧).

قِيلَ في جَهْدِ البلاءِ: إنها الحالة التي يُمتحنُ بها الإنسانُ حتى يختارَ عليها الموت ويتمناهُ. و«دَرَك الشقاء» بتحريك الراء في «دَرَك»: لَحاقُ الهلاك بالإنسان.

والشماتةُ: فرحُ العَدُوِّ ببليَّةٍ تَنْزِلُ بمن يُباديه.

قوله: «الحديث ثلاثٌ» قائل ذلك هو سفيان بن عُيَينة راوي الحديث يعني أَنَّ الحديث المرفوعَ يشتمل على ثلاثِ جُمَل من الأَربع، والرابعة زادها سفيان ثم خَفِيَ عليه تَعْيينُها. والمراد بسوءِ القضاء هنا: الأَمْرُ المَقْضيُّ، لأنَّ حُكْمَ الله تعالى كلّه حسنٌ لا سُوءَ فيه. وقد دلَّ الحديثُ على استحباب الاستعاذة

من الأَشياء المذكورة وعليه إجماعُ العلماء في جميع الأَمصار والأَعصار وشذَّ طائفةٌ من الزهادِ.

١٣٢٠- عَنْ زَيْدِ بنِ ثَابِتٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ في حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ المَدِيْنَةِ، وهُوَ على بَغْلَةٍ لَهُ، فَحَادَتْ به، فكادَتْ أَنْ تُلْقِيَهُ، فَقَالَ: «مَنْ يَعْرِفُ هٰذِهِ الأَقْبُرَ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: يا رَسُولَ الله قَوْمٌ هَلَكُوا في الجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ: لَوْلا أَنْ لا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ الله أَنْ يُسْمِعَكُمْ عَذَابَ القَبْرِ» ثُمَّ قَالَ لنا: «تَعَوَّذُوا باللهِ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ»، فَقُلْنا: نَعُوذُ باللهِ مِنْ عَذابِ جَهَنَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «تَعَوَّذُوا باللهِ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيْحِ الدَّجَّالِ» فَقُلْنا: نَعُوذُ باللهِ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيْحِ الدَّجَّالِ، ثُمَّ قَالَ: «تَعَوَّذُوا باللهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ»، فقلنا: نَعُوذُ باللهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، ثُمَّ قَالَ: «تَعَوَّذُوا باللهِ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيا والمَمَاتِ» فَقُلْنا: نَعُوذُ باللهِ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيا والمَماتِ.

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٨٦٧).

قوله: «لولا أن لا تدافنوا لدعوتُ الله أَن يُسْمِعَكم عذابَ القَبْرِ»: قال القاضي عياض: مَنْعُ السماعِ أن لا يتدافنوا يحتمل أَنَّه لغلبة الخوف، ويحتمل أَنَّه لوقوعِ الهلاك إذْ لا يُطاقُ سماعُ عذابِ الآخرة في الدنيا لِضَعْفِ بِنْيَةِ أهلها.

وفي الحديثِ دلالةٌ على إثباتِ عذاب القَبْرِ. قال المازري في «المُعْلِم» ٣/٢٠٧: عذابُ القبر ثابتٌ عند أَهْلِ السنة وقد وردَتْ به الآثار. وقال تعالى: ﴿قالوا ربَّنا أَمَتَّنا اثنتين وأَحْيَيْتنا اثنتين﴾ [غافر: ١١] ولا يَبْعُدُ في العَقْلِ أَن يُعيدَ الباري الحياةَ في بعضِ أَجزاءِ الجسد ولا يُدْفَعُ هذا بقوله تعالى: ﴿لا يذوقون فيها الموتَ إلّا المَوتَةَ الأولى﴾ [الدخان: ٥٦] لأَنه يحتمل أَن يُريدَ

بالموتِ الموتةَ التي فيها جُرَعٌ وغُصَصٌ وموتة القبر ليست كذلك، ويحتمل أن يُريد جنسَ الموتِ ولم يُرِدْ موتةً واحدة.

١٣٢١- عَنْ عَبْدِ اللهِ ـ هُوَ ابنُ مَسْعُودٍ ـ قَالَ: قَالَتْ أُمُّ حَبِيْبَةَ: اللَّهُمَّ مَتِّعْني بِزَوْجِي رَسُولِ اللهِ ﷺ، وبأبي أَبي سُفْيانَ، وبأخي مُعَاوِيةَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إنَّكِ سَأَلْتِ اللهَ لآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وأرزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، وآثارٍ مَبْلُوغَةٍ، لا يُعَجِّلُ مِنْها شَيْئاً قَبْلَ حِلِّهِ، ولا يُؤخِّرُ مِنْها شَيْئاً بَعْدَ حِلِّهِ، ولَوْ سَأَلْتِ اللهَ أَنْ يُعافِيَكِ مِنْ عَذَابٍ في النَّارِ، وعَذَابٍ في القَبْرِ كانَ خَيْراً لَكِ».

قالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يا رَسُولَ الله القِرَدَةُ والخَنَازِيْرُ هُمْ مِمَّا مُسِخَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إنَّ اللهَ لَمْ يَمسَخْ قَوْماً ـ أَوْ يُهْلِكْ قَوْماً ـ فَيَجْعَلَ لَهُمْ نَسْلاً ولا عَاقِبَةً، وإنَّ القِرَدَةَ والخَنَازِيْرَ قَدْ كانَتْ قَبْلَ ذٰلِكَ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مُسلم (٢٦٦٣).

وذكر النووي في «شرح مسلم» ١٠/ ٩٥: أَنَّ هذا الحديثَ صريحٌ في أَنَّ الآجالَ والأَرزاق مُقَدَّرَةٌ لا تتغيَّر عمَّا قَدَّرَهُ الله تعالى وعَلِمَهُ في الأَزَل فيستحيل زيادتُها ونَقْصُها حقيقةً عن ذلك. وقد أَجاب المازري في «المُعْلم» ٣/ ١٨٤ عمَّا ثبت من أَنَّ صلةَ الرحم تزيد في العُمُر: أن تلك الزيادة كائنةٌ بالنسبة لملك الموت أَو غيره ممَّن وكَّله الله تعالى بقَبْض الأرواح وأَمَره فيها بآجالٍ محدودة، فإنَّه بعد أن يأمره بذلك أَو يُثْبِتَهُ في اللوح المحفوظ ينقص منه ويَزيدُ على حَسْبِ ما سَبَق به عِلْمُه في الأَزَل، وهو معنى قوله تعالى: ﴿يَمْحو الله ما يشاءُ ويُثْبِت﴾ [الرعد: ٣٩].

فإن قيل: ما الحكمةُ في نَهْيِها عن الدعاءِ بالزيادة في الأَجل لأَنه مفروغٌ منه، ونَدَبَها إلى الدعاءِ بالاستعاذة من العذاب مع أَنَّه مفروغٌ منه أَيضاً

كالأَجل؟ فالجواب: أَنَّ الجميع مفروغٌ منه، لكن الدعاءَ بالنجاة من عذاب النار ومن عذاب القبر ونحوهما عبادة، وقد أَمرَ الشرعُ بالعبادات، وأَما الدعاءُ بطولِ الأَجل فليس عبادة. وكما لا يَحْسُنُ تَرْكُ الصلاة والصوم والذكر اتكالاً على القَدر، فكذا الدعاء بالنجاة من النار ونحوه والله أعلم.

١٣٢٢- عَنْ مُعَاذٍ، عنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «اسْتَعِيْذُوا باللهِ مِنْ طَمَعٍ يَهْدي إلى طَبَعٍ».

إسناده ضعيف، أخرجه أَحمد (٢٢٠٢١)، وعبد بن حميد (١١٥)، والحاكم ١/ ٥٣٣ وانظر الكلام عليه في «المسند».

قال أبو عُبيدٍ في «غريب الحديث» ١/ ٣٢٧: الطَّبَعُ: الدَّنَسُ، والعَيبُ، وكلُّ شَيْنٍ في دين ودنيا، فهو طَبَعٌ، يُقال منه: رجلٌ طَبِعٌ، يُقال: أصلُه من الوسخ والدنس يُصيبان السيفَ.

١٣٢٣- عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبَّاس: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كان يُعَلِّمُهُمْ هٰذَا الدُّعَاءَ كَما يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيْحِ الدَّجَّالِ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيا والمَماتِ».

هذا حديث صحيح، أَخرجه مالك ١/ ٢١٥، ومسلم (٥٩٠).

قوله: «كان يُعلّمهم هذا الدعاءَ كما يعلمهم السورة من القرآن» قال الباجي في «المنتقى» ١/ ٣٥٨: فيه دليلٌ على تأكُّده، وما نُدِب إليه من تحفُّظ أَلفاظه. وقد ذهب ابن حَزْمٍ في «المحلَّى» ٣/ ٢٧١ إلى وُجوبِ الإتيانِ بهذا الذكرِ. والصوابُ أنه مندوبٌ إليه.

١٣٢٤- عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنِ اسْتَجارَ باللهِ مِنَ النَّارِ ثَلاثاً، قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَجرْهُ مِنِّي، ومَنْ سَأَلَ اللهَ الجَنَّةَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، قَالَتِ الجَنَّةُ: اللَّهُمَّ أَدخِلْهُ الجَنَّةَ». قَالَ: وقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ ثَلاثاً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرَ مَرَّاتٍ، وبَنَى لَهُ بَيْتاً في الجَنَّةِ».

قَالَ: وقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الدُّعَاءُ بَيْنَ الأَذَان والإقامَةِ لا يُرَدُّ».

إسناد البغوي صحيح، وأخرجه إلى قوله: «أدخله الجنة» أحمد (١٢١٧٠)، والترمذي (٢٥٧٥) في آخر صفة الجنة، والنسائي ٨/ ٢٧٩ في الاستعاذة، وابن ماجه (٤٣٤٠) في الزهد، وقوله: «الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد» أخرجه أحمد (١٢٥٨٤)، وإسناده صحيح.

١٣٢٥- عن عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: كُنْتُ نَائِمَةً إلى جَنْبِ رَسُولِ الله ﷺ، فَفَقَدْتُهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَسْتُهُ بيدي، فَوَضَعْتُ يَدِي على قَدَمَيْهِ، وهُوَ سَاجِدٌ، وهُوَ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وبِمعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وبِكَ مِنْكَ، لا أُحصي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كما أَثْنَيْتَ عَلى نَفْسِكَ».

حديث صحيح، وهو في «الموطأ» ١/ ٢١٤ مرسل، ورواه مسلم في «صحيحه» (٤٨٦) موصولاً.

قال أبو سليمان الخطابي في «شأن الدعاء» ص ١٥٩ في هذا الحديث: إنه استعاذ بالله، وسألَهُ أن يُجيره برضاه من سَخَطِهِ، وبمعافاته من عقوبته، فلذلك قابل الضدَّ بالضدِّ، فلما انتهى إلى ذِكْرِ ما لا ضِدَّ له ولا نِدَّ -سبحانه- أَظْهَرَ العَجْزَ والانقطاع، وفَزِعَ منه إليه، واستعاذ به منه، واستجار بِفَضْلِه من عَدْله.

وفيه دليلٌ على أَنَّ النَّفع والضُّرَّ والخير والشرَّ مصدرها جميعاً مِن قِبَلِ الله عزَّ وجلَّ.

وفي الحديث دليلٌ على أَنَّ مُجَرَّد اللمس لا ينقضُ الوضوءَ.

١٣٢٦- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِي، فَنَظَرَ إلى القَمَرِ، فَقَالَ: «يا عَائِشَةُ اسْتَعِيْذِي باللهِ مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إذا وَقَبَ، هٰذَا غَاسِقٌ إذا وَقَبَ».

أَخرجه أَحمد (٢٤٣٢٣)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» برقم (٣٠٦)، والترمذي (٣٣٦٦) وقال: هذا حديث حسنٌ، وحسَّنه الحافظ ابن حجر، وهو كما قالا.

قوله: وقبَ، أي: دخل، يُريدُ القمرَ إذا دخل موضِعَه، وأصل الوقب: الدخولُ، وإنما سُمِّيَ القمرُ غاسقاً، لأنه إذا خَسَفَ، أو أخذ في الغيبوبة، أَظْلَمَ، والغُسُوقُ: الإظلامُ.

١٣٢٧- عَنِ ابنِ عُمَرَ قَالَ: كانَ مَنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، ومِنْ تَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، ومِنْ فُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، ومِنْ جَمِيْعِ سَخَطِكَ وغَضَبِكَ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٧٣٩) و«الفُجاءة» بضم الفاء والمَدِّ: البَغْتة. وذلك لما في ذلك من الحيلولة بين الإنسان وبين التوبة والإنابة.

١٣٢٨- عن شَكَلِ بنِ حُمَيْدٍ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: يا نَبِيَّ اللهِ عَلِّمْنِي تَعْوِيْذاً أَتَعَوَّذُ بِهِ، فَأَخَذَ بِيَدي، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ: أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وشَرِّ بَصَري، وشَرِّ لِساني، وشَرِّ قَلْبي، وشَرِّ مَنِيِّي».

قَالَ: حَتَّى حَفِظْتُها: قَالَ سَعْدٌ: والمَني: مَاؤُه.

أخرجه أبو داود (١٥٥١)، والترمذي (٣٤٨٧)، والنسائي ٨/ ٢٥٩ بإسنادٍ جيد.

وقد صح عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ، ومِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ».

أخرجه مسلم (٢٧١٦).

وروي عن سعيد بن يَسارٍ، عن أبي هريرة: أن رسولَ الله ﷺ كان يقولُ: «اللَّهُمَّ إني أعُوذُ بِكَ مِنَ الفَقْرِ والقِلَّةَ والذِّلَّةِ، وأعوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلِمَ أَو أُظْلَمَ».

أخرجه أَبو داود (١٥٤٤) بإسنادٍ قوي.

وعن أبي صالح، عن أبي هريرة: أن رسولَ الله ﷺ كان يدعو: «اللَّهُمَّ إني أَعُوذُ بكَ مِنَ الشِّقاقِ والنِّفاقِ وسُوءِ الأخلاقِ».

أخرجه أَبو داود (١٥٤٦)، والنسائي ٨/ ٢٤٦ بإسنادٍ فيه مجهول.

١٣٢٩- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كان يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُوعِ، فَإنَّهُ بِئْسَ الضَجِيْعُ، وأَعُوذُ بِكَ مِنَ الخِيَانَةِ، فَإنَّهَا بِئْسَتِ البِطَانَةُ» وكانَ يَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: إنَّهُ كَسْلانُ، أَو يَقُولَ لِصَاحِبِه: إنَّكَ كَسْلانُ.

إسناده ضعيف، ولكنَّه يتقوى بالطريق التي ذكرها المصنف بإثر هذه الطريق وأخرجها أبو داود (١٥٤٧)، والنسائي ٨/ ٢٦٣ بإسنادٍ حسن.

ويروى هذا عن المقبُري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ إلى قوله: «بئست البطانة».

وعن قتادة، عن أنس: أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بكَ مِنَ البَرَصِ والجُذَامِ، والجُنونِ، وَمِنْ سَيِّيءِ الأَسْقَامِ» أخرجه الطيالسي ١/٢٥٨، وأبو داود (١٥٥٤) بإسنادٍ قوي.

ورُوي عن الحسن البصري، عن عِمرانَ بنِ حُصين قال: قال رسولُ الله ﷺ لأبي: «يا حُصِيْنُ لو أسْلَمْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ تَنْفَعَانِكَ» فلما أسلمَ قال: «قُلْ: اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدي، وأعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفسِي». أخرجه الترمذي (٣٤٧٩) وقال: حسن غريب، مع أَنَّ فيه عَنْعَنَةَ الحسن البصري.

باب

جامع الدعاء

١٣٣٠- عَنِ أَبي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كانَ يَدْعُو: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي خَطِيْئَتِي وجَهْلِي، وإسْرَافِي في أَمْرِي، ومَا أَنْتَ أَعْلَمُ بهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي هَزْلي وجَدِّي، وخَطَئِي وعَمْدِي، وكلُّ ذٰلِكَ عِنْدي».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٦٣٩٩)، ومسلم (٢٧١٩).

١٣٣١- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: كانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِما عَلَّمْتَنِي، وعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وزِدْنِي عِلْماً، الحَمْدُ للهِ عَلى كُلِّ حَالٍ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ حَالِ النَّارِ، أَوْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ».

أخرجه الترمذي (٣٥٩٣)، وابن ماجه (٢٥١) وفي سنده موسى بن عبيدة وهو ضعيف، ومحمد بن ثابت، وهو مجهول.

١٣٣٢- عَنْ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى، والتُّقَى، والعِفَّةَ، والغِنَى».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٧٢١) والمراد بالهدى: ملازمةُ الصراط المستقيم، وبالتُّقى: الخوفُ من الله تعالى، وبالعِفَّةِ: الصيانةُ عن مطامعِ الدنيا، وبالغِنى: غِنى النفس.

١٣٣٣- عن خالد بن أبي عمران، أَنَّ ابن عُمَرَ قَالَ: كانَ رَسُولُ الله ﷺ لا يَكادُ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ إلا دَعَا بِهؤلاءِ الكَلِماتِ لأَصْحابِهِ: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وبَيْنَ مَعَاصِيْكَ، ومِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، ومِنَ اليَقِيْنِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيْبَاتِ الدُّنْيا، ومَتِّعْنَا بأَسْمَاعِنَا، وأَبْصَارِنا، وقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، واجْعَلْهُ الوَارِثَ مِنَّا، واجْعَلْ ثَأرَنا عَلى مَنْ ظَلَمَنا، وانْصُرْنَا على مَنْ عَادَانا، ولا تَجْعَلْ مُصِيْبَتَنَا في دِيْنِنا، ولا تَجْعَلِ الدُّنْيا أَكْبَرَ هَمِّنَا، ولا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، ولا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لا يَرْحَمُنا».

إسناده حسن، أخرجه الحاكم ١/٥٢٨، والترمذي (٣٤٩٧) وقال: هذا حديث حسن غريب.

قوله: «واجْعَلْهُ الوارِثَ مِنَّا» أي: أَبقِهِ معي حتى أموتَ قيل: أراد بالسَّمْعِ وَعْيَ ما يُسْمَعُ والعمَلَ به. وبالبصر الاعتبارَ بما يرى، وقيل: يجوز أن يكونَ أراد بقاءَ السَّمْعِ والبَصَرِ بعد الكبر وانحلال القُوى، فيكون السمعُ والبصرُ وارِثَيْ سائِر القُوى، والبَاقِيَيْنِ بعدها، ورد الهاء إلى الإمتاع، فلذلك وحَّدَه، فقال: «واجْعَلْهُ الوارثَ منَّا».

١٣٣٤- عَنِ ابنِ عَبَّاس قَالَ: كانَ رَسُولُ الله ﷺ يَدْعُو: رَبِّ أَعِنِّي ولا تُعِنْ عَلَيَّ، وانْصُرْنِي ولا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وامْكُرْ لي، ولا تَمكُرْ

عليَّ، واهْدِني، ويَسِّرِ الهُدَى لي، وانْصُرْني على مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّاراً، لَكَ ذَكَّاراً، لَكَ رَهَّاباً، لَكَ مِطْوَاعاً، إليْكَ مُخْبِتاً، لَكَ أَوَّاهاً مُنِيْباً، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتي، واغْسِلْ حَوْبَتي، وأجِبْ دَعْوَتِي، وثَبِّتْ حُجَّتي، واهْدِ قَلْبي، وسَدِّدْ لِسَاني، واسْلُلْ سَخِيْمةَ قَلْبِي».

حديث صحيح، أخرجه أحمد ٣/ ٤٥٢ (١٩٩٧)، وأبو داود (١٥١٠)، والترمذي (٣٥٤٦) وتمام تخريجه في «المسند».

قوله: «واغْسِل حَوبَتي»: الحوبة الزَّلّةُ والخطيئة، والحُوب: الإثم، وكذلك الحَوْب، وفي الحديث أن رجلاً استأذن في الجهادِ، فقال: «أَلَكَ حَوبَة؟» يعني: ما تأثم به إذا ضيعته، والخَوبَةُ، بالخاء المعجمة: الفقر، يقال: خابَ يخوب خوباً: إذا افتقر، وجاء في الحديث: «نعوذ باللهِ مِنْ الخَوبَةِ». والسَّخِيمَةُ: الضَّغِينَةُ.

قوله: «وامْكُر لي ولا تمكُرْ عليَّ» فسَّره الخطابي في «شأن الدعاء»: ١٦٤ بقوله: معناه أَنْ يُنْفِذَ مَكْرَهُ وحيلَته في عدوِّه، ولا ينفذ مَكْرَ عدوِّه، وحيلتَه فيه. وقد يكون معنى المَكْرِ الاستدراجَ في الطاعات، فيتوهم أنَّها مقبولةٌ منه وهي مردودةٌ عليه. و«المُخْبِتُ»: الخاشع. و«الأَوَّاه»: المُوْقِنُ، وقيل: البكَّاءُ.

١٣٣٥- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بنِ عَبْدٍ القَارِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ يَقُولُ: كانَ إذا نَزَلَ على رَسُولِ الله ﷺ الوَحْيُ نَسْمَعُ عِنْدَ وَجْهِهِ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، فَمَكَثْنَا سَاعَةً، فَاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ ورَفَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ زِدْنَا ولا تَنْقُصْنَا، وأَكْرِمْنَا ولا تُهِنَّا ولا تَحْرِمْنَا، وآثِرْنَا

ولا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا، وارْضَ عَنَّا» ثُمَّ قَالَ: «لَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيْنَا عَشْرُ آيَاتٍ مَنْ أَقَامَهُنَّ دَخَلَ الجَنَّةَ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ المُؤمِنُونَ﴾ عَشْرَ آياتٍ [المؤمنون: ١-١٠].

إسناده ضعيف أخرجه أحمد (٢٢٣)، والترمذي (٣١٧٢)، والحاكم ١/ ٥٣٥ و ٢/ ٣٩٢، وعبد بن حميد (١٥) والنسائي في «الكبرى» (١٤٣٩).

١٣٣٦- عن رفاعة بن رافع قال: سَمِعْتُ أَبا بَكْرٍ الصِّدِّيْقَ يَقُولُ عَلى مِنْبَرِ رَسُولِ الله ﷺ فَبَكَى أَبو بَكْرٍ حِيْنَ ذَكَرَ رَسُولَ الله ﷺ، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ في القَيْظِ عَامَ الأَوَّلِ: «سَلُوا اللهَ العَفْوَ والعَافِيَةَ، واليَقِيْنَ في الآخِرَةِ والأُولَى».

هذا حديثٌ حَسَنُ الإسناد، أَخرجه المروزي في «مسند أبي بكر الصديق» برقم (٤٧)، وأخرجه أحمد (٦) وفيه تمام تخريجه.

١٣٣٧- عَنْ أَنَس بنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اطْلُبُوا الخَيْرَ دَهْرَكُمْ، وتَعَرَّضُوا نَفَحَاتِ رَحْمَةِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ، فَإِنَّ للهِ نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيْبُ بِها مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبادِهِ، وسَلُوا اللهَ أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِكُمْ، وأَنْ يُؤَمِّنَ رَوْعَاتِكُمْ».

أخرجه ابنُ أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» برقم (٢٧)، والبيهقي في «الأَسماء والصفات»: ١٥٠، وابن عبد البَرِّ في «التمهيد» ٥/ ٣٣٩ وفي إسناده ضعف. وانظر: «تنزيه الشريعة»: ١٥٢.

قوله: «نفحات رحمة الله» أي: عطاياه التي تَهُبُّ من رياح رحمته. و«العورات»: جمع عورة، وهي كلُّ ما يُستحى من إظهاره. و«الروعات»: جمع رَوْعة وهي الخوفُ والفَزَعُ.

١٣٣٨- عَنْ مُحْصِنٍ الفِهْرِي، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ دَعَا رَبَّهُ فَعَرَفَ الاسْتِجَابَةَ، فَلْيَقُلْ: الحمدُ للهِ الَّذي بِعِزَّتِهِ وجَلاَلِهِ تَتِمُّ الصَّالِحاتُ، ومَنْ أَبْطَأَ عَنْهُ مِنْ ذٰلِكَ شَيءٌ، فَلْيَقُلْ: الحَمدُ للهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ».

في إسناده انقطاعٌ وجهالة.

وانظر ما بعده.

١٣٣٩- عَنْ عَلِيِّ بن أبي طَالِبٍ قَالَ: كانَ النَّبِيُّ ﷺ إذا رَأَى ما يَكْرَهُ قَالَ: «الحَمْدُ للهِ عَلى كُلِّ حالٍ» وإذا رَأَى ما يَسُرُّهُ قَالَ: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ».

في إسناده محمد بن أبي رافع لا يُعرف. وأخرجه أبو الشيخ في «أخلاق النبي»: ٦٨. وللحديث شاهدٌ يتقوَّى به عند ابن ماجه (٣٨٠٣)، والحاكم ١/٤٩٩ من حديث عائشة رضي الله عنها.

١٣٤٠- عَنْ أَنَس: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كانَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ آتِنَا في الدُّنْيا حَسَنَةً، وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وقِنَا عَذَابَ النَّارِ».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٦٣٨٩)، ومسلم (٢٦٩٠).

وقد ذكر القاضي عياض أنَّ النبيَّ صلواتُ الله عليه وسلامُه كان يُكْثِرُ الدعاءَ بهذه الآية لِجَمْعِها معاني الدعاءِ كلِّه من أَمْرِ الدنيا والآخرة. وقد فَسَّرَ الحَسَنُ البصري الحَسَنَةَ بأَنَّها العِلْمُ والعبادةُ في الدنيا، والجنة في الآخرة.

وقال ابن كثير رحمه الله: والحسنةُ في الدنيا تَشْمَلُ كلَّ مطلوبٍ دنيوي، من: عافية، ودارٍ رَحْبةٍ، وزوجةٍ حَسنةٍ، وولدٍ بارٍّ، ورزقٍ واسعٍ، وعلمٍ نافعٍ،

وعملٍ صالحٍ، ومركبٍ هنيءٍ، وثناءٍ جميلٍ، إلى غير ذلك مما شملته عباراتهم، فإنها كلَّها مندرجةٌ في الحسنة في الدنيا، وأما الحسنةُ في الآخرة، فأعلاها دخولُ الجنة وتوابعُه من الأَمْنِ مِن الفزع الأكبر في العَرَصات، وتيسير الحساب، وغيرِ ذلك من أمور الآخرة، وأما الوقايةُ من عذاب النار فهو يقتضي تيسيرَ أسبابِه في الدنيا من اجتناب المحارم، وتركِ الشبهات. انظر: تفسير القرآن العظيم ١/٥٥٨.

١٣٤١- عَنْ ثَابِتٍ البُنَانِيِّ، عَنْ أَنَس بنِ مَالِكٍ، قَالَ: رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَجُلاً قَدْ صَارَ مِثْلَ الفَرْخِ، فَقَالَ: «هَلْ كُنْتَ تَدْعُو الله بِشَيءٍ، أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ» قَالَ: يا رَسُولَ الله كُنْتُ أقولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي به في الآخِرَةِ، فَعَجِّلْهُ لي في الدُّنْيا، فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللهِ لا تَسْتَطِيْعُهُ، أَوْ لا تُطِيْقُهُ، هَلاَّ قُلْتَ: اللهمَّ آتِنَا في الدُّنيا حَسَنَةً، وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وقِنَا عَذَابَ النَّارِ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٦٨٨) عن زياد بن يحيى الحسَّاني، عن محمد بن أبي عَدِي، عن حُمَيد، وزاد في آخره: فدعا الله له فشفاه.

قوله: «في الدنيا حَسَنَةً» أي: نعمةً -كقوله: ﴿إن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾ [التوبة: ٥٠] أي: نِعْمَةٌ- وقيل: حُظوظاً حَسَنَةً.

وقد دلَّ الحديث على كراهية تمنِّي البلاءِ، لأَنَّه قد يؤدِّي إلى الضجرِ والتشكي، وأَنَّ هذا الدعاءَ هو من أَفْضَل ما يدعو به المُسْلم ولا سيَّما وأَنه كان أكثرَ دعاءِ النبي ﷺ.

باب

الترغيب في الدعاء

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إذا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

١٣٤٢- عَنِ النُّعْمانِ بنِ بَشيْرٍ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المِنْبَرِ: «إنَّ الدُّعَاءَ هُوَ العِبَادَةُ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إنَّ الَّذِيْنَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِيْنَ﴾ [غافر: ٦٠].

إسناده صحيح، وأخرجه الطيالسي ١/١٥٣، وأبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٧٣)، وصححه ابن حبان (٨٩٠)، والحاكم ١/٤٩٠ ووافقه الذهبي.

وقد يجيء الدعاء بمعنى العبادة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَنْ ندعُوا مِنْ دونه إلهاً﴾ [الكهف: ١٤] أي: لن نعبد.

وقوله: «إنَّ الدعاءَ هو العبادة» معناه: أَنَّه معظمُ العبادة، أَو أَفْضَلُ العبادة. وفي الحديث: الحضُّ على الدعاءِ والترغيبُ فيه. وقد اختلفت مذاهب الناس في الدعاء، فقال قومٌ: لا معنى للدعاء ولا طائل له، لأن الأقدار سابقة والأَقضية متقدّمة، والدعاء لا يزيد فيها، وتركه لا ينقص شيئاً منها ولا فائدة في الدعاءِ. وقد روي عنه ﷺ أنه قال: «جَفَّ القلَمُ بما هو كائن». وقالت طائفةٌ أخرى: الدعاءُ واجب، وهو يدفع البلاءَ ويردُّ القضاء، واحتجوا بما روي عن النبي ﷺ: «لا يَرُدُّ القضاءَ إلاّ الدعاء» أَخرجه الترمذي (٢١٣٩)، وابن ماجه (٩٠). وقال آخرون: الدعاءُ واجب، إلاّ أَنه لا يُسْتَجابُ منه إلاّ ما

وافق القضاء. وهذا المذهبُ هو الصحيح. وهو قَوْلُ أهلِ السنة والجماعة، وفيه الجَمْعُ بين الأَخبارِ المروية على اختلافِها والتوفيق بينها. أفاده الخطابي في «شأن الدعاء»: ٦-٨ ثم بسط القَوْل في الردِّ على أصحاب المقولتين الأُخْرَيَيْنِ.

١٣٤٣- عن أبي عثمان النَّهْدِي قال: سَمِعْتُ سَلْمَانَ الفَارِسِيَّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إنَّ الله حَيِيٌّ كَرِيْمٌ، إذا رفعَ العَبْدُ إليهِ يَدَيْهِ يَسْتَحْيي أَنْ يَرُدَّهُما صِفْراً حتَّى يَضَعَ فِيْهِما خَيْراً».

أخرجه أبو داود (١٤٨٨)، وابن ماجه (٣٨٦٥)، وصححه ابن حبان (٨٧٦) وحسَّنه الحافظ في «الفتح» ١١/ ١٢١: وانظر الحديث الآتي.

قوله: «صِفراً» أي: خالياً، يقال: بيت صفْر عن المتاع، أي: خال.

١٣٤٤- عَنْ أَنَس قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إنَّ الله حَيِيٌّ كَرِيْمٌ، يَسْتَحْيي إذا رَفَعَ العَبْدُ إليهِ يَدَهُ أَنْ يَرُدَّها صِفْراً حَتَّى يَجْعَلَ فِيْها خَيْراً».

في سنده أبان بن أبي عياش اتفقوا على ضعفه، وأخرجه الحاكم ١/ ٤٩٧، ٤٩٨ من طريقٍ أُخرى عن أنس، وانظر ما قبله.

١٣٤٥- عَنْ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ حَدَّثَهُمْ: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «مَا عَلى الأَرْضِ مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو الله عَزَّ وجَلَّ بِدَعْوَةٍ إلا آتاهُ اللهُ إيَّاها، أَوْ كَفَّ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَها، مَا لَمْ يَدْعُ بإثْمٍ أَوْ قَطِيْعَةِ رَحِمٍ».

هذا حديث صحيح أخرجه الترمذي (٣٥٦٨)، والطحاوي في «شرح المشكل» (٨٨١).

قال ابن الجوزي رحمه الله: اعلم أن دعاءَ المؤمن لا يُرَدُّ، غيرَ أنه قد يكونُ الأولى له تأخيرَ الإجابة، أو يُعَوَّضُ عنه بما هو أولى له عاجلاً أو

آجلاً، فينبغي للمؤمن أن لا يَتْرُكَ الطلبَ من ربه، فإنه متعبدٌ بالدعاء، كما هو متعَبدٌ بالتسليم والتفويضِ، ومن جملة آدابِ الدُّعاء: تحري الأوقاتِ الفَاضِلَةِ كالسجود وعندَ الأذان، ومنها: تقديمُ الوضوءِ، واستقبالُ القبلة، ورفعُ اليدين، وتقديمُ التوبة، والاعترافُ بالذنب، والإخلاصُ، وافتتاحُه بالحمد والثناء، والصلاةُ على النبي ﷺ، والسؤالُ بالأسماء الحسنى.

١٣٤٦- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ شَيءٌ أَكرَمَ عَلى اللهِ عَزَّ وجَلَّ مِنَ الدُّعاءَ».

إسناده حسن، أَخرجه الترمذي (٣٣٦٧)، وابن ماجه (٣٨٢٩)، وصححه ابن حبان (٨٧٠).

١٣٤٧- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدْعُ اللهَ عَزَّ وجَلَّ، غَضِبَ عَلَيْهِ».

أَخرجه أحمد (٩٧٠١)، والبخاري في «الأَدب المفرد» (٦٥٨)، والترمذي (٣٣٧٣) وغيرهم. وجميعهم أخرجه من رواية أَبي صالح الخوزي، مختلفٌ فيه، ضعفه ابن معين وقواه أبو زرعة ومعنى الحديث: أَنَّ مَنْ لم يسأل الله يُبْغضه، والمبغوض مغضوبٌ عليه. أَفاده الطيبي.

باب

ترك الاستعجال

١٣٤٨- عَنْ أبي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَسْتَجِيْبُ اللهُ لأَحَدِكُمْ ما لَمْ يَدْعُ بإِثْمٍ، أَوْ قَطِيْعَةِ رَحِمٍ، أَوْ يَسْتَعْجِلْ»، قَالُوا: ومَا الاسْتِعْجَالُ يا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: « يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُكَ يا رَبِّ، قَدْ

دَعَوْتُكَ يَا رَبِّ، قَدْ دَعَوْتُكَ يَا رَبِّ، فَلا أَرَاكَ تَسْتَجِيْبُ لي، فَيَنْحَسِرُ عِنْدَ ذٰلِكَ، فَيَدَعُ الدُّعاءَ».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٦٣٤٠)، ومسلم (٢٧٣٥).

قوله: «فَيَنْحَسِرُ» ويروى: «فَيَسْتَحسِرُ» أي: يَمَلُّ، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ولا يَسْتَحْسِرُون﴾ [الأنبياء: ١٩] أي: لا ينقطعون عن العبادة. وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ينقَلِبْ إليك البَصرُ خاسِئاً وهو حَسِير﴾ [الملك: ٤] أي: كليل منقطع.

قال أبو الدَّرداء: مَنْ يُكْثِرْ قَرْعَ البَابِ يُوشِكُ أن يُفْتَحَ له، ومَنْ يُكْثِرِ الدُّعَاءَ يوشِكُ أن يُسْتَجابَ له.

وقال القرطبي في «المُفْهِم»: قائلُ: «دعوتُ فلم يُسْتَجَبْ لي» جاهلٌ بحقيقةِ الإجابة، لأَنَّه اعتقد أَنَّ الإجابة منحصرةٌ في الإسعافِ بالمطلوب، بل هو حصولُ واحدةٍ من الثلاثِ المذكورة في الحديث، فقد يعلم الله تعالى أَنَّ في الإسعافِ بالمطلوبِ مَفْسَدَةً فيكون الصرفُ عنه إجابة، وأيضاً فقد يعلم الله تعالى أَنَّ تأخيرَه لوَقْتٍ أَصْلَحُ للداعي، لأَنَّه سبحانه وتعالى يُحِبُّ أَن يَسْمَعَ دعاءَ الداعي ودوامَ ضراعته، فيكثر أَجْرَهُ.

باب

منْ دعا فليعزم

١٣٤٩- عن همَّام بن منبِّه قال: هٰذا ما حَدَّثَنَا أَبو هُرَيْرَة قَالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي إنْ شِئْتَ، أَو ارْحَمْنِي إنْ شِئْتَ، أَوِ ارْزُقْنِي إنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، إنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، لا مُكْرِه له».

هذا حديثٌ متَّفق على صحته، أخرجه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩) ومعنى الأَمرِ بالعَزْمِ: أَن يَجْزِمَ بوقوع مَطْلوبه.

١٣٥٠- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إذا دَعَا أَحَدُكُمْ، فَلا يَقُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي إنْ شِئْتَ، ولٰكِنْ لِيُعْزِمْ، ولْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإنَّ الله لا يَتَعَاظَمُهُ شَيءٌ أَعْطَاهُ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٦٧٩).

قَالَ: ابن بطال في شرح البخاري ١٠/ ٩٩: في الحديث أنه ينبغي للدَّاعي أن يجتهدَ في الدُّعاء، ويكونَ على رجاءِ الإجابة، ولا يَقْنَطَ من الرحمةِ، فإنه يدعو كريماً، وقد قال ابن عيينة: لا يمنعنَّ أحداً الدعاءُ ما يعلمُ في نفسه، أي: من التقصير، فإن الله قد أجابَ دُعاء شَرِّ خلقه، وهو إبليسُ حين قال: ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْني إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر: ٣٦].

باب
من تستجاب دعوته

قَالَ اللهُ سُبْحَانَه وتَعَالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيْبُ المُضْطَرَّ إذا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢].

١٣٥١- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «ثَلاثُ دَعَواتٍ مُسْتَجَاباتٌ لَهُنَّ لا شَكَّ في ذٰلِكَ: دَعْوَةُ المَظْلُومِ، ودَعْوَةُ الوَالِدِ على وَلَدِهِ، ودَعْوَةُ المُسافِرِ».

حديث حسن أخرجه أبو داود (١٥٣٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٢)، وأحمد (٧٥٠١)، والطيالسي (٢٥١٧)، وابن ماجه (٣٨٦٢)، والترمذي رقم (١٩٠٦)، وصححه ابن حبان (٢٦٩٩) وله شاهد من حديث عقبة بن عامر عند أحمد (١٧٣٩٩) يتقوى به.

١٣٥٢- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «ثلاثٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حِيْنَ يُفْطِرُ، والإمامُ العادِلُ، ودَعْوَةُ المَظْلُومِ يَرْفَعُها اللهُ فَوقَ الغَمامِ، وتُفْتَحُ لَها أَبْوابُ السَّمَاءِ، ويَقُولُ الرَّبُّ: وعِزَّتي لأَنْصُرَنَّكِ ولَوْ بَعْدَ حِيْنٍ».

أخرجه الترمذي (٣٥٩٨)، وابن ماجه (١٧٥٢)، وصححه ابن حبان (٣٤٢٨) وحسنه الترمذي والحافظ في «أمالي الأذكار» وانظر تمام تخريجه في ابن حبان.

١٣٥٣- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وتَعَالى لَيَرْفَعُ العَبْدَ الدَّرَجَةَ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَنَّى لي هٰذِهِ الدَّرَجَةُ؟ يَقُولُ: بِدُعَاءِ وَلَدِكَ لَكَ».

أخرجه أحمد (١٠٦١٠)، وابن ماجه (٣٦٦٠) في الأدب: باب بر الوالدين، وإسناده حسن، وقال البوصيري في «الزوائد» ٣/١٥٩: إسناده صحيح، رجاله ثقات.

١٣٥٤- عَنْ صَفْوَانَ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ صَفْوانَ، وكانَتْ تَحْتَهُ الدَّرْدَاءُ، قَالَ: أَتَيْتُ الشَّامَ، فَأَتَيْتُ أَبا الدَّرْدَاءِ، فَلَمْ أَلْقَهُ، فَلَقِيْتُ أُمَّ الدَّرْدَاءِ، فَقَالَتْ: تُرِيْدُ الحَجَّ العَامَ؟ قُلْتُ: نَعمْ، قَالَتْ: فَادْعُ لَنَا بِخَيْرٍ، فَإنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَ يَقُولُ: «دُعَاءُ المُسْلِمِ مُسْتَجَابٌ لأَخِيْهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوكَّلٌ، مَا دَعَا لأَخِيْهِ بِخَيْرٍ إلا قَالَ لَهُ: آمِيْنَ ولَكَ بِمِثْلِه».

قال: فَخَرَجْتُ إلى السُّوقِ، فَلَقِيْتُ أَبا الدَّرْدَاءِ، فَقَالَ لي مِثْلَ ذٰلِكَ.

هذا حديث صحيح، أخرجه مُسْلم (٢٧٣٣).

ورُوي بإسناد غريب عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «ما مِنْ دَعْوَةٍ أَسْرَعَ إجابةً مِنْ دعوةِ غائبٍ لِغائبٍ». أخرجه أبو داود (١٥٣٥)، والترمذي (١٩٨١) وفي سنده عبد الرحمن بن أَنعم الإفريقي وهو ضعيف.

ورَوى أبو داود (١٤٩٨)، والترمذي (٣٥٥٧) عن سالم بن عبد الله، عن أبيه، عن عمر قال: استأذنتُ النبي ﷺ في العُمرةِ، فأذِنَ لي وقال: «يا أخي اشْرِكْنَا في دُعائك ولا تَنسَنا» فقال كلمة ما يسرُّني أنَّ لي بها الدنيا.

أخرجه أبو داود (١٤٩٨)، والترمذي (٣٥٥٧)، وصححه الترمذي مع أن في سنده عاصم بن عبيد الله وهو ضعيف.

ورُوي عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أبيٍّ بن كَعْب: أن رسولَ الله ﷺ كان إذا ذكر أحداً، فدعا له، بدأ بنفسه. أخرجه الترمذي (٣٣٨٢)، وأبو داود (٣٩٨٤) وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسن غريبٌ صحيح.

باب

أدب الدعاء ورفع اليدين فيه

قَالَ أَبو هُرَيْرَةَ: اسْتَقْبَلَ رَسُولُ الله ﷺ القِبْلَةَ، ورَفَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْساً وأْتِ بِهِمْ».

أخرجه البخاري (٦٣٩٧)، ومسلم (٢٥٢٤).

١٣٥٥- عَنْ أَبي مُوسَى قَالَ: لمَّا فَرَغَ النَّبيُّ ﷺ مِنْ حُنَيْنٍ، بَعَثَ أَبا عامرٍ عَلى جَيْشٍ إلى أَوْطَاسَ، وبَعَثَنِي مَعَ أَبي عَامِرٍ، فَرُمِيَ أَبو عَامِرٍ في رُكْبَتِهِ، رَمَاهُ جُشَمِيٌّ بِسَهْمٍ فَأَثْبَتَهُ في رُكْبَتِهِ، فَنَزَعْتُهُ، فَنَزَا

مِنْهُ المَاءُ، قَالَ: يا ابْنَ أَخِي أَقْرِىءِ النَّبِيَّ ﷺ السَّلاَمَ، وقُلْ لَهُ: اسْتَغْفِرْ لي، فَمَكَثَ يَسِيْراً ثُمَّ مَاتَ، فَرَجَعْتُ، فَدَخَلْتُ على النَّبيِّ ﷺ في بَيْتِهِ عَلى سَرِيْرٍ مُرَمَّلٍ، وعَلَيْهِ فِرَاشٌ قَدْ أَثَّرَ رِمَالُ السَّرِيْرِ بِظَهْرِهِ وجَنْبَيْـهِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِنا وخَبَرِ أَبي عَامِرٍ، وقَالَ: قُلْ لَهُ: اسْتَغْفِرْ لي، فَدَعَا بِماءٍ، فَتَوَضَّأَ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ وقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ أَبي عامِرٍ» ورَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْـهِ، ثُـمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيْرٍ مِنْ خَلْقِكَ مِنَ النَّاسِ» فَقُلْـتُ: ولِي فَاسْتَغْفِرْ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللهِ بنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ، وأَدْخِلْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُدْخَلاً كَرِيماً».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٤٣٢٣)، ومسلم (٢٤٩٨).

قوله: «مُرَمَّل» بضم الميم الأولى وتشديد الثانية أي: معمول بالرمال وهي حِبال الحُصُرِ.

قوله: «فتوضَّأَ ثم رفع يديه»: فيه مشروعية رفع اليدين في الدعاء، واستحباب التطهُّرِ عند الدعاءِ. وفي رفع اليدين في الدعاء أحاديث كثيرة، أفردها الحافظ المنذري في جزء، سرد منها النووي في «الأذكار» و«شرح المهذب» جملة، وعقد لها الإمام البخاري في «الأدب المفرد» باباً، وانظر «الفتح» ١١/ ١٤١-١٤٢.

١٣٥٦- عَنِ ابنِ عَبَّاس قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إذا سَأَلْتُمُ اللهَ، فَاسْأَلُوا بِبُطُونِ أَكُفِّكُمْ، ولا تَسْأَلُوا بِظُهُورِها، وإذا دَعَا أَحَدُكُمْ، فَفَرَغَ مِنْ دُعَائِهِ، فَلْيَمْسَحْ بِيَدَيْهِ على وَجْهِهِ».

أخرجه أبو داود (١٤٨٥) في الصلاة: باب الدعاء، وقال: رُوي هٰذا الحديث من غير وجه، عن محمد بن كعب، كلها واهية، وهذا الطريق أَمْثَلُها، وهو ضعيف أيضاً.

١٣٥٧- عَنِ ابنِ عَبَّاس قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إذا دَعَوْتُمُ اللهَ بِبُطُونِ أَكُفِّكُمْ، لا تَسْأَلُوهُ بِظُهُورِها، فَإِذا فَرَغْتُمْ فَامْسَحُوا بِها وجُوهَكُمْ».

إسناده ضعيفٌ كسابقه.

ورُوي عن سالم بن عبد الله، عن أبيه، عن عمرَ قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا رَفَعَ يَديه في الدُّعاء لم يَحُطَّهُمَا حتى يَمْسَحَ بهما وجهه.

أَخرجه الترمذي (٣٣٨٣) بسندٍ ضعيف، وحسَّنه الحافظ في «بلوغ المرام» بشواهده.

قال البغوي رحمه الله: وينبغي لمن يريدُ الدعاءَ أنْ يبدأ بحمدِ اللهِ، ثم يصلِّي على النبي ﷺ، ثم يسألُ حاجته.

١٣٥٨- عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي والنَّبِيُّ ﷺ، وأَبو بَكْرٍ وعُمَرُ مَعَهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَدَأْتُ بالثناءِ على اللهِ عَزَّ وجَلَّ، ثُمَّ الصَّلاةِ عَلى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ دَعَوْتُ لِنَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سلْ تُعْطَهْ، سَلْ تُعْطَهْ».

أَخرجه الترمذي (٥٩٣) بإسنادٍ حسن.

رُوي عن فَضَالَةَ بن عُبَيْدٍ، عن رسولِ الله ﷺ: «إذا صلَّى أحدُكُمْ فليبدأ بتحميدِ اللهِ، والثناء عليه، ثم يصلِّي على النبي ﷺ، ثم يدعو بعدُ بما شَاءَ».
أَخرجه أحمد (٢٣٩٣٧) بإسناد صحيح.

وقال عمر بن الخطاب: إن الدُّعاءَ موقوفٌ بين السماء والأرضِ لا يصعَدُ منه شيءٌ حتَّى تصلِّيَ على نبيك. أخرجه الترمذي (٤٨٦) بسندٍ ضعيف.

وقال عبدُ الله بنُ مسعود: إذا أرَادَ أحدُكُمْ أن يسألَ اللهَ عزَّ وجَلَّ فليبدأ بالمِدْحَةِ والثناءِ على اللهِ بما هُو له أهلٌ، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يسألُ بعدُ، فإنه أجدر أن يُنْجِحَ. ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/ ١٥٥ وعزاه للطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح، إلَّا أنَّ أبا عبيدة لم يسمع من أبيه عبد الله.

١٣٥٩- عن صُبيح بن مُحرِزٍ الحمصي، حدَّثَنا أبو مُصَبِّحٍ المَقْرائيُّ قَالَ: كُنَّا نَجْلِسُ إلى أَبي زُهَيْرٍ النُّمَيْرِيِّ، وكانَ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَيُحَدِّثُ أَحْسَنَ الحَدِيْثِ، فَإذا دَعَا الرَّجُلُ مِنَّا بدُعاءٍ قَالَ: اخْتِمْهُ بآمِيْنَ، فَإنَّ آمِيْنَ مِثْلُ الطَّابعَ على الصَّحِيْفَةِ، قالَ أبو زُهَيْر: أُخْبِرُكُمْ عَنْ ذٰلِكَ، خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَأَتَيْنَا عَلى رَجُلٍ قَدْ أَلَحَّ في المَسأَلَةِ، فَوَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْمَعُ مِنْهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوجَبَ إنْ خَتَمَ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْم: بأيِّ شَيءٍ يَخْتِمُ؟ قَالَ: «بآمِيْنَ، فَإنَّهُ إنْ خَتَمَ بآمِيْنَ، فقد أَوجَبَ» فَانْصَرَفَ الرَّجُل الَّذي سَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ، فَأَتَى الرَّجُلَ فَقَالَ لَهُ: اخْتِمْ يا فُلانُ بآمِيْنَ، وأَبْشِرْ.

أخرجه أبو داود (٩٣٨)، وفي إسناده، صبيح بن مُحْرِز لم يوثقه غير ابن حبان.

باب

١٣٦٠- عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إذا تَمَنَّى أَحَدُكُمْ، فَلْيُكْثِرْ، فَإنَّمَا يَسْأَلُ رَبَّهُ».

أخرجه ابن حبان (٨٨٩) بلفظ: «إذا سأل» بإسنادٍ صحيح على شرط الشيخين. وأخرجه الطبراني في «الأوسط» ٢/ ٣٠١ برقم (٢٠٤٠).

قال رحمه الله: هذا فيمن يتمنى شيئاً مباحاً مِنْ أمر دنياه وآخرته، فليكُنْ فَزعُه فيه إلى الله عز وجل، ومسألتُه منه وإن عظُمَت أمنيته، قال الله عز وجلَّ: ﴿واسألوا الله مِنْ فَضْلِه﴾ [النساء: ٣١] وليس من هذا القبيل أن يتمنَّى الرجلُ مال غيره، أو نعمةً خصَّهُ الله بها حسداً أو بغياً، فإنه مَنهيٌّ عنه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ولا تَتَمَنَّوْا ما فَضَّلَ اللهُ بهِ بعضَكُمْ على بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣١].

obeikandl.com